سلسلة الرسائل المكية (٥)

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

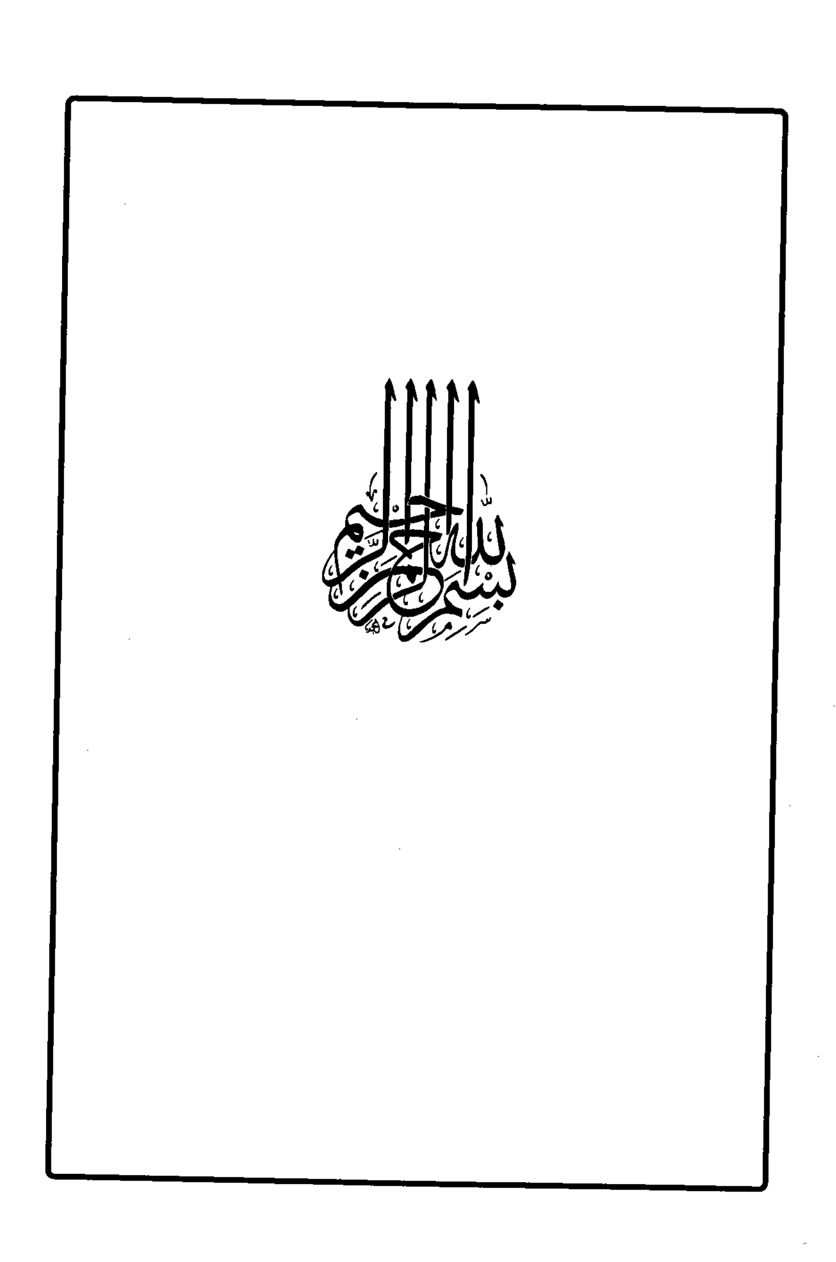
- المجموعة الثالثة -

بقلم

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

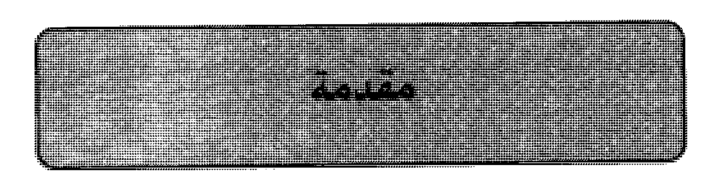
(٣)

ⓒ دار الوطـن للنشـر ، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشـريـم ، سـعود بـن إبـراهـيم .
وميض من الحـرم : خطـب ومواعظ. ـ الرياض .
٢٤٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٩ - ١٣٢ - ٢٨ - ٩٩٦٠ (المجموعة الثالثة)
١- الخطـب الدينية ٢- خطبة الجمعة
٣- الوعظ والإرشاد أ- العنـوان
ديوي ٢١٣ ١٨/٣٣٩٢

رقم الإيداع: ١٨/٣٣٩٢
ردمك: ٩- ١٣٢ -٢٨ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الوطن للنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٦٤٦٥٩ -ص.ب ٣٣١٠ الرمز البريدي ١١٤٧١



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذا هو الجزء الثالث من كتابي «وميض من الحرم» ضمنته مجموعةً من الخطب التي ألقيتها بالمسجد الحرام، رأيت إخراجها مطبوعة ليستفيذ منها من يحتاج إليها كالخطباء والمستمعين والقراء، علها أن تكون سببًا في النفع والمثوبة كما أنها جهد المقل الذي يحفزه قول القائل:

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصا

والله المسؤول أن ينفع به وأن يجعل ذلك في ميزان الحسنات ويتجاوز به عن السيئات سبحانه هو القائل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قاله مقيده

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

خواطر بين يدي الخطيب

«الحلقة الثالثة»

هذه الحلقة ما هي إلا امتداد لحلقتين دونتا في الجزء الأول والجزء الثاني وهما مطبوعان، وكنت قد وعدت بحلقة مستقلة مع كل جزء يلقى فيها الضوء على بعض المسائل التي لا يستغني عنها الخطيب، فها أنذا أشرع إن شاء الله في هذه الحلقة بعون من الله وتوفيق، فأقول: إن خواطر هذه الحلقة هي كالتالي:

١. مفهوم الموعظة:

أخطأ بعض الناس من خطباء وغيرهم في مفهوم الموعظة، فبعضهم قصرها على التخويف وآخرون قصروها على الترغيب، ونتيجة القولين أحدثت نقدًا من البعض - بسبب قصور هذا الفهم - على بعض الخطباء الذين يتكلمون في خطبهم عن بعض الأحداث المعاصرة أو نحو ذلك والتعليق عليها بما ينفع المسلمين؛ ومن ثم فقد يوجه اللوم على من يسير على هذه الطريق بأنك لا تهتم بالوعظ في الخطب ولو أنك فعلت كذا وكذا... إلخ.

وأقول بيانًا لهذا المفهوم - البعيد عن الحق -:

الوعظ في اللغة: الأمر بالطاعة والوصية بها، **قال ابن سيده في** المصباح المنير: وعظه يعظه وعظًا وعظةً: أمره بالطاعة ووصاه بها وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] أي أوصيكم وآمركم، فاتعظ أي ائتمر وكف نفسه، والاسم: الموعظة، وهو واعظ والجمع وعاظ. اهـ.

وقال الرازي في مختار الصحاح: وعظ «الوعظ»: النصح والتذكير بالعواقب. اهـ.

والوعظ في الاصطلاح: قال عنه العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ما نصه:

«تنبيه: فإن قيل: يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي كقوله هنا: ﴿**يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠] مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ** - إلى قوله - **وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ**﴾ الآية [النحل: ٩٠]، وكقوله في سورة البقرة بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة: ﴿**ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقوله في النهي عن مثل قذف عائشة: ﴿**يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا**﴾ الآية [النور: ١٧] مع أن المعروف عند الناس أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك لا بالأمر والنهي.

فالجواب: أن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء: أوامر ربهم ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله. وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفًا وطمعًا». اهـ.

قلت: وبهذا يتضح غلط من قصر الوعظ على الترغيب أو الترهيب أو عليهما جميعًا، وبه تبين كذلك أن كل ما أوصل إلى التذكر أو تصحيح الخطأ في كل شأن من شئون الناس الدينية أو الدنيوية فهو من باب الوعظ؛ ولذلك جاء الوعظ حتى في الأمر والنهي كما ذكر ذلك صاحب أضواء البيان آنفًا.

وأقول زيادة على آيات الطلاق كذلك آيات الظهار؛ حيث قال جل شأنه: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ [المجادلة: ٣] وهذا في جانب فقهي بحت، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ...﴾ الآية [سبأ: ٤٦] وهذا في جانب العقائد. وبالله التوفيق.

٢ـ خطبة الخسوف:

اختلف أهل العلم في صلاة الكسوف هل تشرع لها خطبة أم لا؟

قال صاحب الهداية من الحنفية: ليس في الكسوف خطبة؛ لأنه لم ينقل اهـ. وتعقب بأن الأحاديث ثبتت فيه وهي كثيرة.

والمشهور عند المالكية أن الكسوف ليس لها خطبة مع أن الإمام مالكًا رحمه الله روى الحديث وفيه ذكر الخطبة.

ويشترك الإمام مالك مع أبي حنيفة في تعليل عدم مشروعية الخطبة فيها بأن النبي ﷺ إنما خطب لمّا ظن الناس أن الشمس كسفت لوفاة ابنه إبراهيم، وأنه لم يقصد الخطبة بخصوصها.

والمشهور من مذهب الحنابلة أن صلاة الكسوف لا يشرع لها خطبة، قال ابن قدامة: لم يبلغنا عن أحمد ذلك.

واستحب الشافعي وإسحاق الخطبة بعد الكسوف. وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها ابن حامد وغيره من الأصحاب، كما ذكر ذلك صاحب الإنصاف، وهو قول أكثر أصحاب الحديث؛ وذلك لما في الأحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة والأصل مشروعية الاتباع. والخصائص لا تثبت إلا

بدليل، قال ابن دقيق العيد: «فينبغي التأسي بالنبي ﷺ فيذكر الإمام ذلك في خطبة الكسوف».

قلت: والقول بمشروعية الخطبة في صلاة الكسوف هو الصحيح الذي يدل له الدليل. ولكن هل المشروع خطبتان أم خطبة واحدة؟ اختلف في ذلك على قولين:

أصحهما: أنها خطبة واحدة ولا صحة لقياس من قاسها على خطبة الجمعة والعيدين؛ إذ ليس في الأحاديث المذكورة فيها ما يقتضي ذلك. ثم إن قياسها على العيدين غير صحيح، لأن صلاة العيد صلاة فرح، بخلاف صلاة الكسوف فهي صلاة رهبة. والله تعالى أعلم.

٣ـ الطهارة من الحدث في الخطبة:

اشترط الشافعية وأبو يوسف من الحنفية الطهارة من الحدث، وكذا الطهارة من النجاسة في البدن والثوب والمكان.

وأما جمهور أهل العلم فعلى عدم اشتراط الطهارة من الحدث سواء كان أصغر أو أكبر على الصحيح من أقوالهم، ودليلهم في هذه المسألة أن الخطبة ذكر وموعظة وليست صلاة، والحدث مطلقًا لا يمنع من الذكر إلا أن الطهارة من كل ذلك مندوبة للتأسي والاتباع، لأن النبي ﷺ كان يصلي عقيب الخطبة لا يفصل بينهما بطهارة، فدل على أنه كان متطهراً، ومن لم يكن كذلك فإنه يحتاج إلى الطهارة بين الصلاة والخطبة، فيفصل بينهما وربما طول على الحاضرين. والراجح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور.

وقد قال الإمام أحمد في من خطب وهو جنب ثم اغتسل وصلى بهم: يجزئه.

قال ابن قدامة في المغني: وهذا إنما يكون إذا خطب في غير المسجد، أو

خطب في المسجد غير عالم بحال نفسه ثم علم بعد ذلك اهـ. والله تعالى أعلم.

٤. إذا قرأ الخطيب آية فيها سجدة:

أود أن أبين قبل الشروع فيما يتعلق بالعنوان - حكم سجود التلاوة في اختصار شديد؛ فأقول: اختلف أهل العلم في سجود القرآن على قولين: فعند الحنفية أن سجود التلاوة واجب، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله خلافًا للجمهور الذين قالوا بأن سجود التلاوة سنة وليس واجبًا، وهم بلا شك أحظ بالدليل من غيرهم، ومما استدلوا به على ما ذهبوا إليه ما روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: «قرأت على النبي ﷺ ﴿والنجم﴾ فلم يسجد فيها». ولو كان السجود واجبًا لأمره النبي ﷺ ولو بعد ذلك.

ويدل على ذلك أيضًا: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده في قصة قراءة عمر بسورة النحل وسيأتي بعد قليل.

ومما يتعلق بهذه المسألة أيضًا باختصار أن سجود التلاوة في حق القارئ والمستمع على ما دلت عليه السنة لما جاء في صحيح البخاري أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته». وأما السامع وهو غير المستمع فلا يؤكد في حقه السجود كما يؤكد على المستمع كما قال الشافعي رحمه الله. وقد روى عبد الرزاق بسند صحيح «أن عمران مر بقاص فقرأ القاص السجدة فمضى عمران ولم يسجد معه»، وصح مثل ذلك عند عبد الرزاق عن سلمان. وروي مثله عن عثمان رضي الله عنه «أنه مر بقاص فقرأ سجدة ليسجد معه عثمان فقال عثمان: إنما السجود على من استمع ثم مضى ولم يسجد» اهـ.

بقي معنا ما يتعلق بسجود الخطيب على المنبر إذا مر بآية سجدة، فالذي اطلعت عليه أن مالكًا رحمه الله يرى أنه يمر على آية السجود ولا يسجد.

ولكن المتأمل في سنة النبي ﷺ يجد خلاف ما ذهب إليه مالك رحمه الله؛ فقد أورد الحافظ ابن حجر في الفتح ما رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قرأ وهو على المنبر، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، ثم قرأها في يوم آخر فتهيأ الناس للسجود فقال: «إنما هي توبة نبي، لكني رأيتكم تهيأتم»، فنزل وسجد وسجدوا معه» اهـ. قال العراقي: إسناده صحيح اهـ. نقل ذلك الشوكاني عنه في نيل الأوطار.

ومن ذلك ما ثبت عند البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه «أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس، إنا نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رضي الله عنه» اهـ. فيثبت بذلك مشروعية سجود التلاوة ولو على المنبر وهذا من سنة النبي ﷺ.

٥ـ أمران يحتاجان إلى تنبيه:

هناك أمران يلفتان انتباهي كثيراً عند سماع خطب يوم الجمعة في أماكن متفرقة.

فالأمر الأول منهما: ما يفعله بعض الخطباء حين استشهادهم في خطبهم ببعض الآيات؛ حيث يقومون بترتيلها ولو كانت آيتين فأقل بل إن بعضهم لا يكاد يمر بآية! إلا ويرتلها، ومحط السؤال هنا هو أنني لم أجد حسب بحثي القاصر ما يدل على هذا من سنة النبي ﷺ، بل إنني وجدت أحاديث كثيرة يستشهد فيها النبي ﷺ بآية من القرآن ولم يأت فيها ما يدل على أنه كان يرتلها، ومعلوم أن الترتيل إنما يكون عند التلاوة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

ولذا فإنني لا زلت أبحث جاهداً للوصول إلى نتيجة مقنعة تؤكد ما يذكره البعض من أن هذا بدعة في الخطب، إلا أن صعوبة التبديع تجعلني أتقاصر عن هذا البحث، ولكنني أقول: إن هذا خلاف سنة النبي ﷺ المعروفة عنه بالاستقراء سواء كانت في أثناء الخطبة أو في أثناء حديثه للصحابة رضي الله عنهم، لا أعلم بعد التتبع ما يدل على أنه ﷺ كان يرتل الآية الواحدة أو الآيتين في الاستشهاد. والعلم عند الله تعالى.

وأما الأمر الثاني: فهو ما يلتزمه بعض الخطباء في خطبهم من التغاير اللافت عند الاستشهاد بالآيات كذلك، حيث إن بعض الخطباء لا يزيد على قوله: قال الله تعالى.. الآية. أو نحو ذلك. ولكنه إذا جاء يختم الخطبة بآية قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ الآية. ولا شك أن هذا لا وجه له لأمور.

أحدها: أنه ليس قراءة، والله يقول: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨]، والمراد بالقراءة هنا التلاوة.

وثانيها: أن النبي ﷺ لم يكن يفعل ذلك حسب الاستقراء في استشهاداته بالآيات.

وثالثها: أن مثل هؤلاء الخطباء يلتزم الاستعاذة في الآية الأخيرة، دون ما يسبقها من آيات، ولا شك أن هذا مثار الإشكال والنقص، وبالله التوفيق.

٦ـ هل يمكن أن يتولى الصلاة من لم يتول الخطبة:

السنة أن يتولى الصلاة من يتولى الخطبة؛ لأن النبي ﷺ كان يتولاهما بنفسه، وكذلك خلفاؤه من بعده، وللإمام أحمد في هذه المسألة ثلاث روايات:

الرواية الأولى: جواز ذلك للعذر نص عليه لأنه إذا جاز الاستخلاف في الصلاة الواحدة للعذر ففي الخطبة مع الصلاة أولى.

والرواية الثانية: أنه إذا لم يكن هناك عذر فقد قال أحمد: لا يعجبني

من غير عذر. وهذا يحتمل المنع ويحتمل الجواز.

والرواية الثالثة: أنه لا يجوز الاستخلاف لعذر ولا لغيره؛ لأن هذا لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه.

لكن الرواية الأولى هي المذهب كما ذكر ذلك ابن قدامة في المغني.

وبالجواز والصحة قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين: «وهو قول جمهور أهل العلم، لكنهم اختلفوا: هل يشترط أن يكون المصلي ممن حضر الخطبة؟ فيه روايتان في المذهب: إحداهما: أنه يشترط أن يكون المصلي ممن حضر الخطبة؟

فيه روايتان في المذهب: إحداهما: أنه يشترط، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي وأبي ثور؛ لأنه إمام في الجمعة فاشترط حضوره الخطبة كما لو لم يستخلف. والرواية الثانية: لا يشترط، وهو قول الأوزاعي والشافعي؛ لأنه ممن تنعقد به الجمعة فجاز أن يؤمَّ فيها كما لو حضر الخطبة. والله تعالى أعلم.

٧ـ استيعاب الخطبة للموضوع:

يخطئ بعض الخطباء الفهم حينما يظنون أن الخطبة يمكن أن تستوعب معظم المواضيع التي يراد طرحها، وهذا من وجهة نظري ليس بصحيح؛ لأنه يوقع في سلبيات متعددة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ الإكثار في الحشو من الأدلة والنقاط المتعلقة بالموضوع بحيث ينسي آخرها أولها.

٢ ـ الإطالة على المستمعين في الخطبة، ومن ثم خروجها عن المقصود وهو التخفيف؛ ولذلك نجد بعض الخطباء قد يتجاوز النصف ساعة فأكثر وهذا مشاهد.

٣- أن المراد من طرح الموضوع هو التذكير والعظة وهذا يحصل من دون إطالة، بل يكفي التركيز على أساسيات الموضوع مع عدم لزوم الاستيعاب؛ لأنه كما قيل: الحر تكفيه الإشارة.

٨- اقتراح في التجديد:

من خلال استقرائي لجملة من الخطب العصرية لعدد من الخطباء على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم وأقاليمهم إلا أنني أجد اتفاقًا واضحًا في الاستدلال على المواضيع المطروحة بأحاديث مطروقة مبذولة بكثرة وليس هذا احتقارًا أو تقليلاً من شأنها، كلا؛ بل إنني أريد أن أصل إلى مرادي، وهو التجديد في الأدلة؛ لأننا ربما نجد أن الخطباء حينما يخطبون عن موضوع ما وليكن مثلاً في بر الوالدين أو صلة الرحم- يتفقون على أحاديث معينة مع أن هناك أحاديث لا تقل عنها صحة ولا صراحة في الموضوع ومع ذلك يُغفل عنها، ولعلي أرجع السبب في ذلك إلى أن بعض الخطباء يقتبس من غيره أو أن يكون المرجع في مثل ذلك كتاب رياض الصالحين، وهو كتاب عظيم لكنه لم يستوعب الأحاديث كلها.

والذي أريد أن أصل إليه هو أن اختيار الأحاديث التي تخفى على كثير من الناس بسبب قلة طرحها يضيف إليهم جديداً وهو معرفة الحديث والعمل به، وفي هذا خير كبير للأمة .

غاية ما يحتاج إليه الخطيب هو التنقيب في بطون كتب الحديث والخروج بمثل هذه الفوائد.

ولعلي أختم هذه المسألة بمثال وقع لي ورأيت ثمرته في الواقع، فقد سبق وأن خطبت بالمسجد الحرام خطبة عن الأخوة، فبدا لي أن آتي بما يدل على الموضوع دون غيره من الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس فأتيت بحديث النبي ﷺ في أمره بقتل الوزغ؛ لأنه كان ينفخ النار على أبينا إبراهيم عليه السلام، فأخذت منه أن من كان عدواً للدين فهو عدو لنا ولو

كانت حشرات صغيرة كالأوزاغ . . . إلخ . وبعد الخطبة وجدت استحسان بعض الناس من جهتين : الأولى في العلم بأن الوزغ كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام . والثانية : في أن كل من عادى الدين بأي نوع من أنواع العداوة فهو عدو لنا حتى ولو كان وزغًا ؛ ولذلك أمرنا النبي ﷺ بقتله . والله تعالى أعلم .

٩ـ توقيت هجرة النبي ﷺ بنهاية العام:

المتتبع لأحوال جملة من الخطباء يجد أنهم يتحدثون في نهاية العام عن حادث الهجرة ، ولي على هذا الأمر ملحوظتان :

الأولى : أن هجرة النبي ﷺ إنما كانت في شهر ربيع الأول بعد مضي ثنتي عشرة ليلة منه في يوم الاثنين كما ذكر ذلك الطبري في تأريخه . وإن الذي ابتدأ التأريخ على الصحيح هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع أو ثماني عشرة من الهجرة حينما احتاجوا إلى التأريخ فاستشار الصحابة فقال بعضهم : من مبعثه ، وقال آخرون : من مهاجره ، فقال عمر رضي الله عنه : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فارضوا بها .

ثم اختلفوا من أي شهر يكون ابتداء السنة ، فقال بعضهم : من رمضان ؛ لأنه الذي فيه أنزل القرآن ، وقال آخرون : بل من ربيع الأول وقت مهاجره ، واختار عمر وعثمان وعلي أن يكون من المحرم ؛ لأنه شهر حرام يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي المسلمون فيه حجهم الذي به تمام أركان دينهم فكان ابتداء السنة الإسلامية الهجرية من شهر الله المحرم .

الثانية : أن بعض الخطباء يستغل نهاية العام وحادث الهجرة للتذكير بالمحاسبة على هيئة الالتزام بذلك في نهاية كل عام ، والذي يظهر لي أن نهاية العام أمر نسبي يختلف من شخص لآخر ؛ فكل شخص ينتهي عامه بتمام سنة من تاريخ ولادته ، فضلاً عن كون المحاسبة غير مختصة بنهاية كل عام ؛ فإن المرء مأمور بالتوبة والمحاسبة فى كل يوم من أيام حياته . وبالله التوفيق .

١٠- إيراد الأحاديث الضعيفة في الخطب:

هذه المسألة تتردد كثيرًا بين الخطباء بين مؤيد ورافض، وللحاجة الماسة إلى كشف هذه المسألة فإني أشير إليها على عجالة لا تخل بالمقصود فأقول:

الذين يجيزون الاستدلال بالأحاديث الضعيفة من الخطباء أو طلبة العلم شبهتهم في ذلك أمور هي كالتالي:

أ- ما نقله الحافظ ابن كثير في مصطلح الحديث عن الإمام أحمد، وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك: «إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا».

ب- ما نقله الحافظ السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر على أن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة:

١- أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين، والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

٢- أن يكون مندرجًا تحت أصل عام، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً.

٣- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله.

جـ- ما ذكره غير واحد من المتأخرين على أن الاستحباب يثبت بالضعيف غير الموضوع.

أما الذين لا يجيزون الاستدلال بالأحاديث الضعيفة فإنهم يجيبون عن أدلة المجيزين بما يلي:

أولاً: أن ما نقل عن الإمام أحمد وابن مهدي وابن المبارك فقد أجاب عنه العلامة أحمد شاكر في الباعث الحثيث؛ حيث قال: «فإنما يريدون- فيما أرجح والله أعلم- أن التساهل إنما هو في الأخذ بالحديث الحسن الذي لم يصل إلى درجة الصحة؛ فإن الاصطلاح في التفرقة بين الصحيح

والحسن، لم يكن في عصرهم مستقراً واضحًا، بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلا بالصحة أو بالضعف فقط» اهـ.

قلت: ولعل مراد العلامة أحمد شاكر وغيره بالحسن، الحسن لغيره، وأما الحسن لذاته فهو حجة كما قال العراقي في ألفيته:

وهو بأقسام الصحيح ملحق حجية وإن يكن لا يلحق

ثانيًا: أن الشروط التي ذكرها الحافظ ابن حجر يجاب عنها كالتالي:

أما الشرط الأول: أن معرفة حال الحديث وكونه شديد الضعف من عدمه مما يشق الوقوف عليه عند جماهير الناس، وأما سماسرة الحديث فعندهم في الصحيح غنية عن الضعيف.

وأما الشرط الثاني: أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصل عام. فهذا رد على أصحابه؛ لأننا لو قلنا به لظهر أن العمل في الواقع ليس بهذا الحديث الضعيف وإنما هو بالأصل العام الذي اندرج تحته الحديث الضعيف، وأن العمل به وارد سواء وجد الحديث الضعيف أم لا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «القاعدة الجليلة»: «ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة، لكن أحمد بن حنبل وغيره من العلماء جوزوا أن يروى في فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت، إذا لم يعلم أنه كذب، وذلك أن العمل إذا علم أنه مشروع بدليل شرعي، وروي في فضله حديث لا يعلم أنه كذب، جاز أن يكون الثواب حقًا، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه يجوز أن يجُعل الشيء واجبًا أو مستحبًا بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع» اهـ.

وأما الشرط الثالث: فإنه يرد على نفسه؛ إذ ما الفائدة من حديث لا

تعتقد عند العمل به ثبوته عن النبي ﷺ لئلا ينسب إليه ما لم يقله. والواقع أنه إذا لم نعتقد ثبوته عن النبي ﷺ فهو وكلام البشر سواء.

ولذلك فإن حاصل الأمر أنه لا يجوز العمل بالحديث الضعيف عند أئمة المحققين كابن معين والبخاري ومسلم وابن العربي وابن حزم وابن رجب وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم كثير وكثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما كان أحمد بن حنبل ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه» اهـ.

تنبيه: ما سبق ذكره مقتبس من كلام العلامة محمد ناصر الدين الألباني بتصرف وإضافات من مقدمة كتابه ضعيف الجامع الصغير وزيادته، فليراجع. والله الموفق.

١١ـ هل خطبة الاستسقاء قبل الصلاة أو بعدها؟:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة إلى قولين هما:

القول الأول: قال أصحابه: إن الصلاة قبل الخطبة، وبهذا القول قال المالكية، وهو المرجح عند الشافعية، وهو رواية عن الإمام أحمد وهي المشهورة في المذهب، حكى ذلك ابن قدامة في المغني وذكر عن أبي بكر من الحنابلة أنها هي الصحيح، كما حكى ابن عبد البر أن مالكًا كان يقول: إن الخطبة قبل الصلاة، ثم رجع عن ذلك واختار كونها بعد الصلاة، وحكى ابن عبد البر هو والنووي أن هذا قول جماهير أهل العلم، وبه قال الشافعي ومحمد بن الحسن من الحنفية، واستدل أصحاب هذا القول على ما ذهبوا إليه بأدلة منها:

١ ـ ما رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج نبي الله ﷺ يومًا يستسقي، فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا

إقامة ، ثم خطبنا ودعا الله عز وجل وحول وجهه نحو القبلة رافعًا يديه ، ثم قلب رداءه فجعل الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن» .

نقل الحافظ في التلخيص عن البيهقي في الخلافيات أنه قال : رواته ثقات ، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه : إسناده صحيح .

٢ ـ ما رواه أحمد من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : «خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحوَّل رداءه حين استقبل القبلة وبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم استقبل القبلة فدعا» .

٣ ـ ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي إسحاق : «أن عبد الله بن يزيد خرج يستسقي بالناس فصلى ركعتين ثم استسقى» . وقد كان ذلك في خلافة ابن الزبير وحضر معه البراء بن عازب وزيد بن أرقم .

قال القرطبي : يعتضد القول بتقديم الصلاة على الخطبة لمشابهتها بالعيد ، وكذا ما تقرر من تقديم الصلاة أمام الحاجة .

القول الثاني : قال أصحابه : إن الخطبة قبل الصلاة ، وبهذا القول قال الليث بن سعد ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وقدم عمر بن عبد العزيز الخطبة على الصلاة وبه قال ابن الزبير وأبان بن عثمان وابن المنذر وغيرهم .

واستدل أصحاب هذا القول على ما ذهبوا إليه بأدلة منها :

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم والأربعة وغيرهم من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه : «خرج النبي ﷺ يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو ، وحوَّل رداءه ثم صلى ركعتين ، جهر فيهما بالقراءة» .

٢ ـ ما رواه البخاري عن أبي إسحاق : «خرج عبد الله بن يزيد الأنصاري ، وخرج معه البراء بن عازب وزيد بن أرقم ، فاستسقى فقام بهم

على رجليه على غير منبر فاستغفر ثم صلى ركعتين يجهر بالقراءة ولم يؤذن ولم يقم».

٣ـ ما رواه أبو داود وابن حبان والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر...» الحديث، وفيه: «فقعد على المنبر فكبر ﷺ ..» الحديث وفيه: «ثم أقبل على الناس ونزل، فصلى ركعتين..» الحديث.

هذا ملخص أدلة أصحاب هذا القول وقد أجابوا عن أدلة أصحاب القول الأول بأن الحديث الأول فيه النعمان بن راشد وهو متكلم فيه، وقد أخطأ في سند الحديث ومتنه، وقد أشار ابن عبد البر إلى شيء من هذا.

وأجابوا عن الحديث الثاني بأنه من رواية إسحاق بن عيسى الطباع وهو إن كان صدوقًا إلا أنه أخطأ فيه على مالك؛ لأن رواة مالك لم يذكروا فيها الصلاة، وقد أشار ابن عبد البر إلى ذلك.

وأجابوا عن الحديث الثالث بأن شعبة خالف فيه زهير بن الجعد وسفيان الثوري؛ لأن رواية زهير وسفيان أنه بدأ بالخطبة ثم صلى. والله أعلم.

الخلاصة:

أن هذه المسألة قد علم فيها قول عامة الفقهاء كما ذكر ذلك ابن عبد البر، وأن الخطبة بعد الصلاة، وليس ذلك للوجوب وإنما على سبيل التخيير فإن شاء قدم الخطبة وإن شاء قدم الصلاة، وبذلك قال سماحة العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية؛ حيث قال في تقرير له ضمن مجموعة الفتاوى والرسائل ما نصه:

«نعرف أنه قد جاء تقديم الصلاة على الخطبة وهو الذي عليه العمل،

وصرح به الأصحاب، ولكن يجمع بينه وبين حديث عبد الله بن زيد بأن الكل جائز، فيكون وجهان في ذلك كلٌ سنة»اهـ.

وقال سماحة العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية في تعليقه على فتح الباري ما نصه: «أخرج أحمد رحمه الله حديث أبي هريرة المذكور بسند حسن وصرح فيه بأنه «خطب بعد الصلاة»، ويجمع بين الحديثين بجواز الأمرين والله أعلم».

وقال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في شرحه على الزاد ما نصه: «وعلى هذا فتكون خطبة الاستسقاء قبل الصلاة وبعدها» اهـ. هذا حاصل ملخص المسألة، والله تعالى أعلم.

تنبيه: في مذهب الحنابلة أربع روايات في مسألة خطبة الاستسقاء:

الأولى: أن الخطبة بعد الصلاة وهي المشهورة.

والرواية الثانية: أنها قبل الصلاة.

والثالثة: هو مخير قبل أو بعد.

والرابعة: أنه لا يخطب وإنما يدعو ويتضرع؛ لقول ابن عباس: «لم يخطب كخطبتكم هذه لكن لم يزل في الدعاء والتضرع». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

فائدة: روى البخاري في صحيحه من طريق عبد الله بن أبي بكر سمع عباد بن تميم عن عمه قال: «خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي، واستقبل القبلة فصلى ركعتين وقلب رداءه، قال سفيان: فأخبرني المسعودي عن أبي بكر قال: جعل اليمين على الشمال».

قال الحافظ في الفتح: «قوله: (عن أبي بكر) يعني: ابن محمد بن عمرو بن حزم بإسناده وهو عن عباد بن تميم عن عمه.. إلخ، ثم قال: قال

ابن بطال: حديث أبي بكر يدل على أن الصلاة قبل الخطبة؛ لأنه ذكر أنه صلى قبل قلب ردائه قال: وهو أضبط للقصة من ولده عبد الله بن أبي بكر؛ حيث ذكر الخطبة قبل الصلاة» اهـ. والله أعلم.

١٢- هل خطبة الاستسقاء واحدة أم ثنتان؟:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإمام يخطب خطبتين يفصل بينهما بالجلوس، وبذلك قال مالك والشافعي؛ فقد قال مالك رحمه الله: فيما بين كل خطبة جلسة اهـ. والشافعي رحمه الله يقيسها على العيدين.

والقول الآخر -وهو مذهب الحنابلة-: أن الإمام يخطب في الاستسقاء خطبة واحدة، وبذلك قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة وكذا عبد الرحمن بن مهدي.

والقول الثالث: قال به الطبري إن شاء خطب واحدة، وإن شاء اثنتين اهـ.

وحاصل المسألة: أن الناظر في أحاديث الاستسقاء التي أثبتت الخطبة، لا يجد فيها ما يدل على أنه كان يخطب خطبتين، بل إن ابن عباس ثبت عنه فيما رواه أحمد وأصحاب السنن أنه قال: «فلم يخطب خطبتكم هذه»، قال ابن قدامة عن قول ابن عباس هذا: وهذا يدل على أنه ما فصل بين ذلك بسكوت ولا جلوس؛ ولأن كل من نقل الخطبة لم ينقل خطبتين ولأن المقصود إنما هو دعاء الله تعالى ليغيثهم، ولا أثر لكونها خطبتين في ذلك اهـ.

وقال في موضع آخر في المغني: والأولى أن يخطب بعد الصلاة خطبة واحدة اهـ. وقال الزيلعي عن حديث ابن عباس السابق: مفهومه أنه خطب، لكنه لم يخطب خطبتين كما يفعل في الجمعة، ولكنه خطب خطبة واحدة، فلذلك نفى النوع ولم ينف الجنس، ولم يرو أنه خطب خطبتين اهـ.

هذا هو حاصل الخلاف في هذه المسألة، ولعل من قال: إنها خطبة واحدة هو الأحظى بالدليل الشرعي، والعلم عند الله تعالى.

١٣- كيفية قلب الرداء للخطيب في الاستسقاء:

هذه المسألة ليست خاصة بالخطيب وحده بل يشاركه فيها جميع المصلين، ولكن لما كان الإمام قدوة في هذا أحببت أن أبين كلام أهل العلم في هذه المسألة باختصار فأقول: قد مر معنا في فقرة سابقة أن تحويل الرداء في خطبة الاستسقاء ثابت عن النبي ﷺ، ولأهل العلم كلام في هذا التحويل:

فمنع من ذلك أبو حنيفة وقال: لا يسن؛ لأنه دعاء، فلا يستحب تحويل الرداء فيه كسائر الأدعية.

وخالف الجمهور أبا حنيفة فقالوا: يسن قلب الرداء، ثم اختلفوا هل هو مختص بالإمام فقط أو يشاركه الناس، والصحيح أن الناس يشاركونه؛ لأن في بعض روايات حديث عبد الله بن زيد «... وحول رداءه فقلبه ظهر البطن وتحول الناس معه» رواه أحمد وغيره.

وأما صفة التحويل: فقد قال الجمهور: إنه يجعل الأيسر على الأيمن، ويجعل الأيمن على الأيسر، وبهذا قال مالك وأحمد والشافعي في القديم، وبه قال عبد الرحمن بن مهدي وإسحاق وأبو ثور ووكيع وغيرهم. قال ابن عبد البر: وعلى ذلك أكثر أهل العلم.

واستدل الجمهور بما روى البخاري من حديث عباد بن تميم عن عمه قال: «خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي، واستقبل القبلة فصلى ركعتين، وقلب رداءه. قال سفيان: فأخبرني المسعودي عن أبي بكر قال: جعل اليمين على الشمال»، وزاد فيه ابن ماجه وابن خزيمة من هذا الوجه: «والشمال على اليمين». وفي رواية عند أبي داود من طريق الزهري عن

عباد بلفظ: «فجعل عطافه الأيمن على عاتقه الأيسر، وعطافه الأيسر على عاتقه الأيمن».

وذهب الشافعي في الجديد إلى أن كيفية التحويل هي أن ينكس الرداء مع التحويل الموصوف في قول الجمهور. ودليله في ذلك ما رواه أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن زيد «أن النبي ﷺ استسقى وعليه خميصة سوداء، فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها، فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه»، قال ابن دقيق العيد في الإلمام: إسناده على شرط الشيخين.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ولا ريب أن الذي استحبه الشافعي أحوط.

قال ابن قدامة في المغني: وقد نقل تحويل الرداء جماعة، لم ينقل أحد منهم أنه جعل أعلاه أسفله ويبعد أن يكون النبي ﷺ ترك ذلك في جميع الأوقات لثقل الرداء اهـ.

قلت: الرواية التي استدل بها الشافعي هي مدارها على الدراوردي، وقد قال عنه أحمد كما في تهذيب التهذيب: كان معروفًا بالطلب، وإذا حدث من كتابه فهو صحيح وإذا حدث من كتب الناس وهم، وكان يقرأ من كتبهم ويخطئ. اهـ. وقال عنه أبو زرعة: سيئ الحفظ، فربما حدث من حفظه الشيء فيخطئ» اهـ.

والناظر في طرق حديث عبد الله بن زيد يظهر له خطأ الدراوردي في مخالفته جميع الرواة.

قال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في تعليقه على فتح الباري بعد كلام الحافظ ابن حجر: ولا ريب أن الذي استحبه الشافعي أحوط. قال سماحته: ليس الأمر كما قال الشارح بل الأولى والأحوط هو التحويل

بجعل ما على الأيمن على الأيسر وعكسه؛ لأن الحديث بذلك أصح وأصرح؛ ولأن فعله أيسر وأسهل. والله أعلم. اهـ.

تنبيه: قال ابن قدامة في المغني: ويستحب أن يحول رداءه في حال استقبال القبلة؛ لأن في حديث عبد الله بن زيد «أن النبي ﷺ خرج يستسقى فحول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة ثم حول رداءه». متفق عليه وفي لفظ لمسلم: «فحول رداءه حين استقبل القبلة» اهـ.

ونقل ابن عبد البر في التمهيد عن مالك: يحول الإمام رداءه عند فراغه من الخطبة.

وقال الشافعي: يحول رداءه وهو مستقبل القبلة في الخطبة الثانية عند فراغها أو قرب ذلك. اهـ.

قال الحافظ في الفتح بعد ذكره الحديث الصحيح: فعرف بذلك أن التحويل وقع أثناء الخطبة عند إرادة الدعاء.

قلت: وقول الحافظ سبقه إليه أبو يوسف فقال: يحول الإمام إذا مضى صدر من خطبته.

والذي يظهر لي والعلم عند الله تعالى أن ما ذهب إليه ابن قدامة هو الأقرب وهو الأحظ بالدليل؛ لأن الإمام حال الخطبة يكون مستقبلاً الناس. والأحاديث دلت على أن التحويل كان حين استقبل القبلة، وبالله التوفيق.

١٤ ـ تحريك الخطيب يديه حال الخطبة:

اعتاد بعض الخطباء لا سيما المرتجل منهم أن يحرك يديه ويشير بهما يمنة ويسرة ويشتد التحريك عند الانفعال. ولأجل ذا كان من المناسب أن أشير

إلى كلام أهل العلم في هذه المسألة، فأقول وبالله التوفيق :

قال ابن قدامة في المغني بعد أن استحب الاعتماد على قوس أو سيف أو عصا وذكر الدليل على ذلك : ولأن ذلك أعون له ، فإن لم يفعل ، فيستحب أن يسكن أطرافه، إما أن يضع يمينه على شماله ، أو يرسلهما ساكنين إلى جنبيه اهـ.

وقال النووي في المجموع بعد ذكر العصا أو السيف : قال أصحابنا ويستحب أن يشغل يده الأخرى بأن يضعها على حرف المنبر . قالوا : فإن لم يجد سيفًا أو عصًا ونحوه سكن يديه بأن يضع اليمنى على اليسرى أو يرسلهما ولا يحركهما، ولا يعبث بواحدة منهما، والمقصود: الخشوع والمنع من العبث . اهـ.

وقال الشوكاني عن الحكمة من اتخاذ العصا أو السيف حال الخطبة ما نصه : قيل : والحكمة في ذلك الاشتغال عن العبث، وقيل : إنه أربط للجأش اهـ.

قلت: وبمثل ما ذكر الشوكاني رحمه الله قال شيخنا العلامة عبد العزيز ابن عبد الله بن باز في شرحه على بلوغ المرام كما **بينت ذلك في الحلقة الثانية** من «بين يدي الخطيب» ضمن الجزء الثاني من الوميض تحت رقم « ١ » في حكم اتخاذ العصا للخطيب فليراجع .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاختيارات : «ويكره للإمام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة، وهو أصح الوجهين لأصحابنا ؛ لأن النبي ﷺ إنما كان يشير بأصبعه إذا دعا، وأما في الاستسقاء فرفع يديه لما استسقى على المنبر» . اهـ.

قلت : ودليل ذلك ما روى حصين بن عبد الرحمن عن عمارة بن رؤيبة قال : «رأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال - أي عمارة - قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبحة» رواه مسلم في صحيحه.

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في شرحه على الزاد ما نصه : «ليس من السنة أن يحرك يديه، وإن كان بعض الخطباء بلغني أنهم يفعلون ذلك. . إلى أن قال : أما خطبة الجمعة فإن المغلب فيها التعبد، ولهذا أنكر الصحابة على بشر بن مروان؛ حيث رفع يديه في الدعاء، مع أن الأصل في الدعاء رفع اليدين ، فلا يشرع فيها إلا ما جاء عن النبي ﷺ» اهـ. والعلم عند الله تعالى.

ما مضى هو حاصل الخواطر، مما أحببت أن أودعه هذا الجزء حسبما اعتدته في كل جزء من باب التمليح والفائدة على حد قول القائل :

وما الحلي إلا زينة من نقيصة　　متمم للحسن إذا الحسن قصَّرا

هذا وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يتجاوز عما فيه من خلل وتقصير، إنه سميع مجيب.

* * *



الخطبة الأولى

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، له الحمد في الأولى والآخرة، يحيي ويميت، وله اختلاف الليل والنهار وهو يتولى الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً بها نحيا وبها نموت وعليها نبعث يوم الدين. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الناصح الأمين، وقائد الغُرِّ المحجلين، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة حتى أتاه اليقين. فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فوصيتي لنفسي ولكم عباد الله هي تقوى الله سبحانه، في السر والعلن، والسفر والحضر، والفرح والحزن، في خلْواتكم وجلْواتكم إن الله يحبُّ المتقين.

أيها الناس:

لقد ابتليت المجتمعات الجاهلية في غابر الأزمان، برجس الأصنام

والوثنية، والخمر والميسر، والأنصاب والأزلام، يتخرج منها رجال ونساء، في الشرك والتضليل، والجهالة والعبِّيَّة الجاهلية، حتى لقد أصبحت مقاصد الحج عندهم عبارةً عن تجمعات مكثفة، في سوق عكاظ، يقصدها الناس من شتى أنحاء البلاد، وكان يقام فيها السوق، في شهر ذي القعدة نحواً من نصف شهر، ثم يأتون بعد ذلك موضعًا دونه إلى مكة، يقال له: سوق مجَنَّة، فيقام فيه السوق إلى آخر الشهر، ثم يأتون موضعًا قريبًا منه، يقال له: ذو المجاز، فيقام فيه السوق إلى يوم التروية، ثم يصدرون إلى منى.

كانت تجتمع في هذه الأسواق قبائل العرب، ووفود ملوكهم، بالهدايا والقرابين إلى الأصنام، يتناشدون الأشعار، ويفتخرون بالسلب والنهب، وقتل الأنفس البريئة دون ما ذنب أو جريمة، ويمارسون وأد البنات إبّانَ حياتهن، ويعدون ذلك من المكرمات، التي تهون دونها الحرمات.

عباد الله:

لقد كانت مواقف الجاهلية في الحج، مواقف مخزية، إنما هي خليط ممزوج، من الأضداد والمتناقضات، يظهر ذلك جليًا في بعض المواقف المتكررة، ومن ذلك مثلاً تلبيتهم في الحج، التي يخلطون معها الشرك فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك.

وكانت قبيلة عكّ إذا خرجت حاجة، قدمت أمامها غلامين أسودين من غلمانهم، فكانا أمام ركبهم فيقولان: نحن غرابا عك، فتقول عك من بعدهما: عك إليك عانية، عبادك اليمانية، كيما نحجَّ الثانية، هذه هي تلبيتهم.

ولقد كانت قريش ومن دان بدينها، يقفون بالمزدلفة، وسائر العرب يقفون بعرفات، حتى أنزل الله على رسوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

ومن مظاهر الجاهلية في الحج - عباد الله - ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم: كان أبي يُطعم، ويحمل الحمالات، ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غيرَ فعَال آبائهم فأنزل الله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وفي خضَمِّ الجاهلية الجهلاء يمنُّ الربُّ الرحيم القادرُ الحليمُ على عباده، بالنبي الخاتم ذي النفس الطاهرة، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فأنزلت آيات الكتاب المتلوة، وأبلغ الرسولُ دعوته، فسمع الأصم نبراته، وأبصر الأعمى آياته، جاء البشير النذير والسراج المنير، فاقتلع الوثنية من جذورها واستأصل شأفتها، بعد أن سفَّه أحلامهم وعاب آلهتهم في مدة من الزمن وجيزة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ويمن الله عليه بفتح مكة، وتحطيم ما فيها من أصنام وأوثان، ثم يرسل أبا بكر في السنة التاسعة حاجّاً، لينادي بالناس؛ ألاَّ يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ثم يأتي صلوات الله وسلامه عليه حاجّاً في السنة العاشرة، ليختم دعوته، بلقاء حافل مع جموع المسلمين، في عرصات المشاعر المقدسة، ويقول لهم: «**خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا**»، وفي عرصات عرفة، في اليوم الذي أكمل الله فيه

دينه وأنزل قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

في يوم عرفة عباد الله، يرى الحبيب ﷺ أن هذا الجمع العظيم، وهذه القلوب الصافية الخاشعة، فرصة عظمى؛ لأن تعي ما سيقول لها، من قواعد عظيمة، ربما عدَّوها وصية مودّع مشفق، فيقف على راحلته، ويخطب الناسَ خطبته المشهورة، كما جاء في السنن لأبي داود وابن ماجه وغيرهما، فكان مما قال فيها: «**ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمانا، دم ابن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعًا في بني سعد فقتلَتْه هذيل، وربا الجاهلية موضوع كلّه، وأول ربًا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله ...**» الحديث.

إن هذه الكلمات، المنبعثة من مشكاة النبوة، ليؤكد بها المصطفى ﷺ حتمية المخالفة لما كان عليه أهل الجاهلية، ويبين بذلك أن مسمى الجاهلية، يعني أن يكون الأمر إسلامًا أولا إسلام، فالجاهلية والإسلام أمران نقيضان، لا يمكن أن يجتمعا في نفس واحدة ألبتة.

إن كلمة الجاهلية، لم تكن نشازًا من حديث النبي ﷺ لا وكلا، بل هي كلمة مطروقة، تكرر ذكرها في غير ما موضع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد قال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال عز وجل: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ويقول جل شأنه: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ويقول أيضًا: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

ولقد بوب البخاري في صحيحه بابًا فقال: باب المعاصي من أمر

الجاهلية. وذكر فيه قول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه لما عيَّر رجلاً بأمه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**». قال الحافظ ابن حجر: إن كل معصية تؤخذ، من ترك واجب أو فعل محرم فهي من أخلاق الجاهلية.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية قال: «**من أحسن في الإسلام، لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**» رواه البخاري ومسلم.

وقد قال ثابت بن الضحاك رضي الله عنه: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا، قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك...**» الحديث. رواه أبو داود.

فيؤخذ من هذا الحديث وغيره - عباد الله - التحذير الشديد من أمور الجاهلية، أو مشابهة أهلها، في أي لون من ألوانها، كيف لا ورسول الله ﷺ يقول: «**ألا إن كل شيء من أمور الجاهلية تحت قدميّ موضوع**»، ولو لم يكن من ازدرائها وشناعة قبحها، إلا حكمُ النبي ﷺ بأنها تحت قدميه لكفى.

لقد أكد رسول الله ﷺ مخالفة ما عليه أهلُ الجاهلية من الكتابيين والأميين، مما لا غنى للمسلم في أن ينبذها وينئى بنفسه عن الوقوع في هوتها، وأن ينسل بنفسه، عن أشدها خطراً وآكدها ضرراً، وهو عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ، ناهيكم عما ينضاف إلى ذلك، من استحسان ما عليه أهل الجاهلية، الذي تتم به الخسارة والبوار كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [العنكبوت: ٥٢]، ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ**

يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

عباد الله :

إن مسائل الجاهلية برمتها، قد بسطها أهل العلم في كتبهم، وسطروها بأقلامهم وألسنتهم، حتى لقد أوصلها بعضهم إلى مائة وثلاثين مسألة، وهي إلى الثلاثمائة أو تزيد أقرب.

وإن من أعظم التشبه، بما كان عليه أهلُ الجاهلية، وأكثرها إيقاعًا للخلل في دين الناس ودنياهم، أمورًا ثلاثة :

أولها : أن كثيراً من الناس يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله في حين أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضراً ؛ بل إنهم لأحوج إلى عفو الله ورحمته من أولئك الذين يدعونهم؛ كما قال سبحانه: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾ [الإسراء: ٥٧].

وهذه ـ عباد الله ـ هي أعظم مسألة خالف فيها الرسول ﷺ ما كان عليه أهل الجاهلية، وعندها بدت بينه وبينهم العداوة والبغضاء أبدًا حتى يؤمنوا بالله وحده، ومن هنا افترق الناس إلى مسلم وكافر، ولأجل هذه القضية العظمى شرع الجهاد في سبيل الله ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٩٣].

وثاني الأمور الثلاثة: هو أن أهل الجاهلية، متفرقون في دينهم ودنياهم، وهم في ذلك فرق وأحزاب، كل حزب بما لديهم فرحون، كل منهم يرى أنه على الحق دون سواه، فمُحق الخير، وأحيِيَ الشر، حتى أصبح المرء لا يعرف إلا نفسه، ولا يهتاج بالفرح والحزن، إلا لما يمسه هو من خير أو شر،

فماتت العاطفة، وقل الاكتراث المبتوت الصلة، بمشاعر الأخوة الإسلامية العامرة.

فجاء الإسلام ودعا إلى الأخوة الدينية وتلا رسول الله ﷺ قول ربه: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾ [الشورى: ١٣]، وتلا قول خالقه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ويعلن المصطفى ﷺ قولته المشهورة: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**» رواه مسلم.

ويكون بذلك مؤكدًا أخوة الدين، التي تفرض تناصر المؤمنين المصلحين، لا تناصر العُبِّيَّة العمياء، والجاهلية الجهلاء، لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، وإجارة المهضوم، وإرشاد الضال، وحجز المتطاول، وهذا كله هو ثمرة قول المصطفى ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» رواه البخاري.

إن الله سبحانه رد أنساب الناس وأجناسهم إلى أبوين اثنين، فهم جميعًا من جهة التمثال أكفاء، أبوهم آدم، وأمهم حواء، وإن يكن لهم من أصلهم نسب يفاخرون به، فهو الطين والماء، ليجعل الله من هذه الرحم، ملتقى تتشابك عنده الصلات وتستوثق العرى، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣] إنه التعارف لا التفاخر، والتعاون لا التخاذل، وأما الشرف والرفعة فإنما هو في قوة الدين، وتمكن التقوى من قلب العبد، في

إزالة الفوارق البشرية، فرسول الله ﷺ من أشراف قريش، يقف مع الناس ويقول لقومه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] تحقيقًا للمساواة بين المسلمين، وكان الرجل من أشراف قريش يأنف أن يزوج ابنته أو أخته من الرجل من عامة الناس، فيأتي رسول الله ﷺ ويزوج ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، من مولاه زيد بن حارثة، ويقول ﷺ عن رجل من أصحابه: «**يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه**»، وقد كان حجامًا رضي الله عنه. رواه أبو داود والحاكم. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات: ١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر، والشافع المشفع في المحشر، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه السادة الغرر. أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن **ثالثة الأثافي من أمور الجاهلية**: هي ديدن الجاهلية، المتمثل في ظنهم المقلوب، أن مخالفةَ ولي الأمر، وعدمَ الانقياد له، فضيلة ورفعة، وأن السمع والطاعة والانقياد، ذل ومهانة، ونقص في الرجولة والعلم، فخالفهم المصطفى ﷺ وأكد على مخالفتهم في ذلك، بالسمع والطاعة في المنشط والمكره، للولاة الشرعيين بالبيعة الشرعية، وأمر بالصبر على جور الولاة، وعدم الخروج عليهم، مع بذل النصح والإرشاد لهم، فغلّظ في ذلك وأبدى وأعاد، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه؛ حيث يقول: «**من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية**» رواه البخاري ومسلم.

فهذه الأمور الثلاثة التي مضت، جمعها النبي ﷺ في قوله: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: ألا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**» رواه أحمد.

وإن مما ينبغي التنبيه إليه عباد الله، هو ما وقع فيه كثير من الناس في هذا العصر إلا من رحم الله، من التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

والتراضي بأحكام البشر وقوانينهم ودساتيرهم، وهذا وربي هو عين فعل الجاهلية ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] .

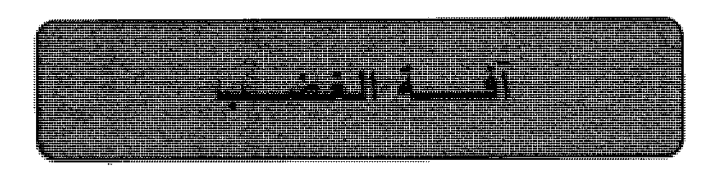
لقد أنكر سبحانه، على من خرج عن حكمه، المشتمل على كل خير، الزاجر عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من قوانين البشر وأعرافهم، التي وضعها رجالهم بلا مستند أو أثارة من علم، كما كان عليه أهل الجاهلية الأولى، وكما كان يحكم به التتار، من السياسات المأخوذة عن سلاطينهم، والتي اقتبسوها من شرائعَ شتى، كاليهودية والنصرانية وغيرها، فصارت فيمن بعدهم شرعةً متبعة، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يصف أمثالهم لبيد بن ربيعة ويقول:

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها

وهم بذلك كله، قد كفروا كفراً وجب قتالهم لأجله حتى يرجعوا إلى حكم الله ورسوله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] .

اللهم صل على محمد .....

* * *



الخطبة الأولى

الحمد لله الحليم العظيم، رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر الرحيم، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه، بعثه الله رحمة للعالمين، ومنةً للإنس والجن براً حريصًا بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه واعبدوه، وراقبوه في خلواتكم وجلْواتكم، اعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

أيها الناس:

ما عُرف على هذه البسيطة ولن يعرف، مظلومٌ من البشر، تواطأ الناس على ظلمه، وما فتئوا يصفونه بأحدِّ ما وضعوا من ألفاظ مُسفَّة، في أعقاب

نبـوات، أعطب الشـيطان ثمـارها، على بقـاء في لبِّه، ونـور في دعـوته، وصدق في حديثه، وثقة في أمانته، مثلُ رسول الله بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، فلقد نال الشتائم والسباب، من كافة طبقات المجتمع، فقد هجاه شعراء، وسخر منه سادة، وآذاه عتارسة، ونال منه سحرة.

ولقد شاء الله سبحانه، أن يأتي اليومُ الموعود، الذي يفتح الله فيه على نبيه ﷺ بمكة، حتى إذا ما دخل بالبيت وطاف، جلس في المسجد والناسُ من حوله، والعيون شاخصة إليه، والقوم مشرئبون، إلى معرفة صنعه بأعدائه، شَرْخهم وشيوخهم، فقال كلمته المشهورة: «**يا معشـر قريش: ما تظنون أني فاعلَ بكم؟**» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخٍ كريم، قال: «**فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾** [يوسف: ٩٢]، **اذهبـوا فـأنتم الطلقـاء**» فيُسلم حينها العظماء ويتوبون، كأمثال هند بنت عتبة، وعكرمة بن أبي جهل، ويؤوب الشعراء ويعتـذرون إليه، كـابن الزبعرى وكعب بن زهير. فلا ينال الجميع منه إلا العفو والتغاضي.

الله أكبر ما أجمل العفو عند المقدرة، والله أكبر ما أجمل السعة عند الضيق، والعزة عند الذلة، ومن أحق بذلك إن لم يكن رسولَ الله ﷺ وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

أيها المسلمون:

بهذا الموقف، وبغيره من المواقف العظيمة، عالج رسول الله ﷺ محو الجاهلية وقطع ظلامها بأنواع المعرفة والإرشاد، ومنع الفساد فيها بحلمه وعفوه ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، لقد كفكف الرسول ﷺ من نزوات الجاهلية، وأقام أركان المجتمع على الفضل وحسن التخلق، ونبذ الجهل والغضب، وكثير من النصائح التي

أسداها للناس كافة، كانت تتجه إلى هذا الهدف، قال رسول الله ﷺ : «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**». رواه البخاري ومسلم.

الحلم أيها المسلمون: اسم يقع على زم النفس، من الخروج عند الورود عليها، ضد ما تحب إلى ما نهى عنه، وهو في موطن الغضب، سيادةٌ على النفس وضبط لها وكبحٌ لجماحها. كما أنه لباس العلم، فمن فقده فقد تعرى وبدت للناس سوءته، وهل يجيء الباطل بخير؟! ألا إن الغضب قرينُ الشر، وإن الحلم راحةُ القلوب وسعادةُ الجماعات.

إن التفاوت بين الناس، بعيد الشقة، مع أنهم من أبوين اثنين، فإن اختلافهم في أوضاعهم وخلالهم، مثار امتحان بالغ الجدوى، ولذا قال جل شأنه: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً** ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ففي الناس الحليمُ الأريبُ المتأني، الذي إذا استنفرته الشدائد، أبقى على وقعها الأليم، محتفظًا برجاحة فكره، وسماحة خلقه، فلا يَحْمَى من قليل يسمعه، فيوقعه في كثير يكرهه، ولا يفضح نفسه ليُشْفي غيظه، فإن جُهِلَ عليه لم ينفعه إلا حلمه، وياللعظمة والعلو، إن فعلَ كفعل قيس بن عاصم، وقد أتوه برجل قد قتل ابنه، فجاءوا به مكتوفًا فقال: ذعرتم أخي أطلقوه، واحملوا إلى أمِّ ولدي ديته، فإنها ليست من قومنا.

وإن في الناس الطائش الأهوج، كما أن فيهم الغر المأفون، الذي تستخفه التوافه، فيستحمق على عجل، ويكون لسانه وفعله، قبل قلبه وعقله، فلا يزم نفسه ولا يتريث، بل يهذي بكلام، ويوكس ويُشطط، في أفعال، يحتاج بعدها إلى اعتذار وتلفيق، فيقع فيما نهى عنه المصطفى ﷺ بقوله: «**ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا**» رواه أحمد وابن ماجه؛ إذ لا ينفعه الاعتذار حينئذ؛ لأنه إذا استطير وراء لهب الغيظ برطم، وأفسد الأمور في

غيبة وعيه، وغلبة عاطفته، فلم يدع لإصلاحها مكانًا، فإن نُصح أهماك هَوَجًا، وإن ذكِّر أصماك غيظًا، وهذه هي علة الحمق الكامنة.

ولقد رأينا الغضب يشتطُّ بأصحابه إلى حد الجنون، عندما تُقتحمُ عليهم نفوسهُم، ويرون أنهم حقّروا تحقيرًا، لا يعالجه إلا سفكُ الدم.

أفلو كان المسلم، يعيش من وراء أسوار عالية من فضائله، أتراه يحسُّ بوخز الألم على هذا النحو الشديد؟ لا وكلًا، بل إن الإهانات تسقط على قاذفها، قبل أن تصل إلى مرماها البعيد، ولا غرو؛ إذ لا تعود الجمرة إلا على موقدها الأول؛ قال رسول الله ﷺ: «**المستَّبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم**» رواه مسلم.

فلا ينبغي للمؤمن الكبير، أن يضيق بهرف قطعان متناثرة، بل إن المصلح العظيم يُفيض من أناته على ذوي النزْق حتى يلجئهم إلى الخير إلجاء، فيطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء والذكر الحسن.

إن من الناس من لا يسكت عن الغضب، فهو شخص غضوب، في ثورة دائمة، وتغيظ يطبع على وجهه العبوس، إذا مسه أحد بأذى، ارتعش كالمحموم، وأنشأ يُرغي ويزبد، ويلعن ويطعن، وكثيرًا ما يذهب به غضبه مذاهب حمقاء، فقد يسب الباب إذا استعصى عليه فتحه، وقد يلعن دابةً جمحت به، أو يَعرُّ امرأته، ويكسر ضلَعَها، ويضيع أمرها، فيفرق شمله في نقصان ملح، أو يبوسة خبز، ثم يطلقها عدد نجوم السماء، وكان يكفيه من ذلك عُطارد، فيتهارشان تَهارش الكلبين، أو يتناقران تناقر الديكين، فلا يفترقان، إلا عن الخدش، والنفر، والهجر. فيجني كل منهما على نفسه بالحرمان والعقوبة، والنتيجةُ الحاصلة هي يتم الأولاد إبان حياة الأبوين.

والإسلام بريء كل البراءة من هذه الخلال الكدرة.

قال رسول الله ﷺ : **«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»** رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

ثم لا تسألوا بعد ذلك أيها المسلمون عن ندم الزوجين ولات ساعة مندم، فيختلقون المعاذير، ويراجعون القضاة والمفتين، كل ذلك لمحو غلطة ارتكبها الغاضب دون تفكير أو روية، أو تدرج في التأديب مما تسبب في هدم لبنة، كان بإمكانه معالجتُها لو ملك عقله، وأشهر حلمه، وكف غضبه.

وما ذنب الولد، إذا خرج من بيته هائمًا، مكفهرًا وجهه، ضائقًا صدره، ينطلق يمنة ويسرة، يبحث عن سبب يزيل به همه، ويجلو غمه، ولربما استبشر به وبأمثاله وحوش الظلام، وذئاب المجتمع، فيسير وراء تخبطهم، ويضيع بضياعهم، عن طريق الكيوف القاتلة من المسكرات والمخدرات، كل ذلك نتيجة غضبة من أبيه وأمه، أعقبها سب وشتم ولطم، وربما طرد ولعن، فيتبدد بذلك شمل الأسرة، وتقوض المجتمعات، فيُكسب في كل يوم عدو، ويُفقد صديق، ويهُدم بيت. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

عباد الله :

اعلموا أن الحليم، إما أن يكون عاجزًا جبانًا، ليس له شيء ولا عليه شيء، فهذا إن لم يغنم فإنه لا يأثم، وإن ادعى الحلم مع عدم الاقتدار على إنفاذ العقوبة، فهذه حجة لا يلجأ إليها إلا اللئام.

وإما أن يكون مخادعًا مكارًا، ظهارته سمت المؤمنين، وبطانته حقد المجرمين، يتحلم ظاهرًا، ويعف علنًا، ولكنه يغضب باطنًا، وينتقم مسرفًا

فهذا حقود لدود، ينقلب على المجتمع من سوء صنيعه، سوسًا كطبع السوس لا يقع على شيء إلا نخره أو عابه، أو دودًا كطبع الدود لا يقع في شيء إلا أفسده وقذره. ومثل هذا، لا يلبث أن يفضحه الله على رؤوس الخلائق.

وإما أن يكون حليمًا مفطورًا على الخير، مجبولاً عليه، وهذا كأشج عبد القيس الذي قال له رسول الله ﷺ : «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة**» فقال: أشيء تخلقت به أم جبلت عليه يا رسول الله ؟ فقال: «**لا بل جبلت عليه**»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله. رواه مسلم وغيره.

وإما أن يكون ثائر النفس، أزعجه من ظلمه، فيصمد محتسبًا، ويصفح قادرًا، ويأمره إيمانه بالعرف، والعفو عن الجاهلين، وهذا هو المثاب في الدنيا والآخرة والمشكور عند الله ومن ثم عند خلقه، وهو الموصوف بالشدة والقوة، كما في قول المصطفى ﷺ : «**ليس الشديد بالصُّرَعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» رواه البخاري ومسلم.

وهو المقصود أيضًا في قول النبي ﷺ : «**من كتم غيظًا وهو قادر على أن يُنفِذَهُ دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء**» رواه أحمد.

أعاذنا الله وإياكم من الغضب، ومن سوئه وآثاره، ورزقنا الحلم والتحلم إنه سميع قريب. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أنه يجب علينا أن نعمل بتعاليم ديننا الحنيف، وأن نأخذ بإرشادات نبينا ﷺ، كما يجب علينا أن نَقْصُرَ أنفسنا عن الغضب، ولا نتسرع فيما يعود علينا بالحسرة والندامة، ولات ساعة مندم، والمرء المسلم مطالب بكتمان غيظه، وإطفاء غضبه بما استطاع من تحلم وتصبر، واستعاذة بالله من النفس والهوى والشيطان.

واسمعوا رعاكم الله، وصيةً من وصايا المصطفى ﷺ لأصحابه، فيما رواه البخاريُّ في صحيحه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: «لا تغضب»، فردد مرارًا قال: «**لا تغضب**»، والمراد من الحديث، ألا يعمل المرءُ بمقتضى الغضب إذا حصل له، بل يجاهد نفسه على ترك تنفيذه، فإن الغضب إذا ملك ابن آدم، كان هو الآمر الناهي له، ولهذا المعنى قال الله عز وجل: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ**﴾ [الأعراف: ١٥٤].

فإذا ما جاهد المرء نفسه، اندفع عنه شرُّ الغضب، وذهب عنه عاجلاً، فكأنه حينئذٍ لم يغضب، وإلى مثل هذا وقعت الإشارة في القرآن، يقول الله

عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] ويقول سبحانه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ويختلف الغضب في دنيا الناس، إذ يتراوح صعودًا وهبوطًا، باختلاف الأحوال والظروف، ولكنه من خلال الإطار الشرعي العام، لا يخرج عن ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الاعتدال، بأن يغضب ليدافع عن نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله، ولولا ذلك لفسدت الأرض بانتشار الفوضى، وتقويض نظام المجتمع. قال رسول الله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد**» رواه أحمد وابن حبان.

المرتبة الثانية: أن ينحطّ الغضبُ عن الاعتدال، بأن يضعُفَ في الإنسان، أو يُفْقدَ بالكلية، وهذه الحالُ مذمومةٌ شرعًا، لاسيما إذا تعلقت بحرمات الله وشعائره، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه قط، فينتقمُ من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى» رواه مسلم.

والمرتبة الثالثة: أن يطغى الغضب على العقل والدين، ولربما جر صاحبه إلى ارتكاب جرائم كبيرة، وموبقات كثيرة، ولا يمكن التخلصُ من هذه العقبة إلا بفعل ما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**» رواه أحمد. واستب رجلان عند النبي ﷺ فاحمر وجه أحدهما غضبًا فقال ﷺ: «**إني لأعلم لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد**» رواه البخاري ومسلم.

اللهم صل على محمد .....

* * *

يوم لا ظل إلا ظله

الخطبة الأولى

الحمد لله الكريم الوهاب، خالق البشر من تراب ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إلَه إلا هو إليه متاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضلُ من صلى وأناب، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أولي النهى والألباب.

أما بعد: فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوا ربكم حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا المعاصي فإن أقدامكم على النار لا تقوى.

أيها الناس :

في الليلة الظلماء يفتقد البدر، وفي لهيب الشمس وسموم الحر، يستطلب الظل وتُستجلبُ النفحات، وما أروعَ العدلَ حين يطغى الجور، والإنصافَ حين يعلو الغمط، وما أعجبَ الشرخَ الشاب، حينما ينتصر على الصبوة المتفتقة، ويا لعظم الحظ ووفرة التوفيق، لمن أوقف قلبه، فبات معلقًا في كل مسجد، وما أهنأ الرجلين، إذ يتحابان في الله ، فلا يجتمعان إلا

عليه، ولا يفترقان إلا عليه، ويا حبذا العفة والخشية، حينما تظهر المغريات، وتضمحل العقبات، وما أجدى صدقةَ السر في إطفاء غضب الرب، وما أعذب الدموع الرقراقة في الخلوة، حينما تسيل على خد الأسيف العاني.

أيها المسلمون :

إن سنة المصطفى ﷺ هي المنبع الثر للهدى والحق والنور، وهي المعينُ الذي لا ينضب، والحق الذي لا يعطب، وإن الوقوف الدقيق عند حديث رسول الله ﷺ المنبعث من مشكاة النبوة، ليحملَ النفس المؤمنة، على أن تعرف أسراره، وتستضيء بأنواره، فلا ينفك، يشرح للنفس ويهديها بهديه، فتؤمنُ بالنبي المصطفى والرسول المجتبى ﷺ، وكلما ذُكرَ كلامُ المصطفى ﷺ فكأنما قيل من فمه للتو، كلام صريح، لا فلسفة فيه، يغلب الأثْرة والشهوة والطمع.

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحيهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**.

عباد الله :

ما أحوجنا جميعًا، إلى أن نستظل في ظل الرحمن، في يوم عصيب يعظم فيه الخطب، ويشتد فيه الكرب، يوم أن تدنو الشمس من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق،

فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً. رحماك يا رب ، عفوك يا الله .

ألا ما أحوج الأمة المسلمة، في كل عصر وفي كل مصر، إلى الإمامِ العادل، وهو صاحبُ الولاية العظمى، وكذا كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين فعدل فيه. الرعيةُ عبيد، يتعبدهم العدل، العدل مألوف وهو صلاح العالم. الإمام العادل، هو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط، فهو أبو الرعية، والرعيةُ أبناؤه، يعلِّم جاهلهم، ويواسي فقيرهم، ويعالج مريضهم، يرى القوي ضعيفًا حتى يأخذ الحق منه، والضعيف غطريفًا حتى يأخذ الحق له.

وإن تحقيق العدل، أمام الرغبات، والمصالح والأهواء، أمر في غاية الصعوبة؛ إذ حلاوته مرة، وسهولته صعبة، وحينما يستطيع المرء تخطي تلك العقبات، كان معنى ذلك، أن فيه من الإيمان والتقوى، ما يجعله مستحقًا لأن يكون واحداً من هؤلاء السبعة.

ولقد وُلِّي عمرُ بنُ عبد العزيز الخلافة، فأرسل إلى الحسن البصري، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكان مما كتب له الحسن: «اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل، قوامَ كلِّ مائل، وقصد كل جائر، وهو كالراعي الشفيق على إبله، الذي يرتادُ لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويكنها من أذى الحر والقرّ، وهو كالأم الشفيقة، البرة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، والإمامُ العادلُ يا أمير المؤمنين، وصيُّ اليتامى، وخازنُ المساكين، وهو كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده. اللهم أظلنا في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك».

أيها الناس :

إن الشابَّ المسلم، الذي يستحق أن يكون واحدًا من هؤلاء السبعة، هو ذاك الفتى اليافع، الذي تعلق قلبه بربه، ولما يشخ بعد، تتجاذبه مزالق الرغبات النفسية ومتطلبات الجسد، ترق عنده الحياة، فتسحره بالنظرات المغرية، وتجمعُ له لذائذ الدنيا، في لحظة مسكرة، أو شبهة عارضة، الشباب الذي يعيش للهوى وأحلام اليقظة ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ [طه : ١٣١] الشاب، شأنه شأن غيره من الشباب، الذين تعتريهم في هذه السن، أنواعٌ من التصرفات غير المتزنة، والذين هم أحرى في أن يقعوا فريسة، لمثل هذه الدركات اللامسئولة.

إن الشباب مرحلة، هي من أخطر مراحل الحياة؛ لأنها مرحلة قوة بين ضُعفين : ضُعف الطفولة، وضُعف الشيخوخة، ولما كان الشباب من العمر، وسيسأل الإنسان عن عمره، فإن رسول الله ﷺ خصّ الشباب في قوله : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع**، وذكر منها : **وعن شبابه فيم أبلاه**» رواه الترمذي.

إن من أكرم الناس نفسًا، وأنداهم كفًا وأطيبهم قلبًا، وأصدقهم عزمًا. هو الشاب المسلم النقي التقي، الذي يُجل الكبير، ويرحمُ الصغير، لا تسمعه إلا مهنئًا أو معزيًا، أو مشجعًا أو مسليًا، ولا تراه إلا هاشًا باشًا، طلْقَ الوجه مبتسمًا، يبعده إيمانه بربه، عن طيش الصِّغر، وإصرار الكبر، فهو الجندي في الميدان، والتاجرُ في السوق، والعضو الفعال في الجمعيات والمنتديات الخيِّرة ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف : ١٣]، ﴿ **قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ** (٥٩) **قَالُوا**

سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠] ، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠].

إن مما يساعد الشباب على عبادة ربه، صفاء المحضن، ممثلاً في البيت والمدرسة والمجتمع، وكذا قيام المحضن بواجبه من توعية وإرشاد، حتى يشب الشباب عن الطوق **«ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** .

ولن يستغني شابٌ عبد ربه، عن مطالعات حثيثة، في سير أسلافه إبان شبابهم، كابن الزبير وابن عباس، وأبي هريرةً وابن عمر، وأسامة وأنس، والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين. وجدير بشاب هذا شأنه، أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

عباد الله :

المساجد بيوت الله ، وأماكنُ عبادته، وهي خير البقاع، يُكرم اللهُ عُمارَها وزوارَه فيها، ويُثيب على الخُطا إليها ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

ومن هنا كان فرح الباري جل وعلا، بزوار المساجد. قال رسول الله ﷺ : **«ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر، إلا تبشبش الله تعالى إليه، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»** رواه ابن ماجه وابن خزيمة وغيرهما وإسناده صحيح.

ولم يكن للمسلمين في القرون الأولى، من معاهد ولا مدارسَ إلا المساجد، ناهيكم عن خمس صلوات في اليوم والليلة. ففي المسجد يُدرَّس القرآنُ وتفسيرُه، والسنةُ وفقهُها، واللغةُ وأصولُ الدين. وأين مجلسُ إمام

دار الهجرة. والحسن البصري، وأبي حنيفة والشافعي وأحمد إن لم يكن في المسجد. أما إنه لو رجع لبيوت الله ، ما كانت عليه من إقامة الشعائر واجتماع المسلمين فيها، لتعلقت بها قلوب الكثيرين ممن أعرضوا عنها واستخفوا بشأنها ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ** ﴾ [البقرة: ١١٤]. اللهم أظلنا تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

عباد الله :

إن المؤمن في هذه الحياة، يجد صعوبةً بالغة، في أن يعيش وحيدًا فريدًا، دون صديق أو مؤانس، صديقٌ يناجيه، وخلٌ يلاقيه ويواسيه، يشاطره مسرته، ويشاركه مساءته. لقد أصبحت علاقاتُ الكثيرين من الناس في هذا العصر، خداجًا خداجًا غير تمام، تقوم لغرض وتقعد لعرض، والإسلام دين الأخوة والمحبة والتآلف ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٣] الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وبه تقع الألفة، المتحابون في الله ، دائمةٌ صحبتهم، باقيةٌ مودتهم، لا تزيدها الأيام إلا وثوقًا وإحكامًا، لخلوصها من الإثم، والأغراض الدنيئة ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف: ٦٧] قال رسول الله ﷺ : «**أيها الناس اسمعوا واعقلوا، واعلموا أن لله عز وجل عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء، على منازلهم وقربهم من الله**»، فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس، وألوى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله : ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم؛ انعتهم لنا. فسُرَّ وجه رسول الله ﷺ بسؤال الأعرابي

فـقـال: « هم ناس من أفناء الناس، ونوازع القـبائل، لم تصل بينـهم أرحام متـقاربة، تحـابوا في الله وتصـافـوا، يضع الله لهم يوم القـيـامـة منابر من نور فـيُجلسهم عليـها، فـيجـعل وجوههـم نوراً، وثيابهم نوراً، يفـزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

رواه أحمد ورجاله ثقات. اللهم أظلنا في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك.

عباد الله:

إذا ما يسرت للمسلم سبل الغواية، ودعَّت إليها الدواعي والمغريات دعّاً، فهو بحاجة ماسة، إلى أن يرى برهان ربه، وأن يسطع نورُ الهداية في فؤاده، وليس هناك امتحان، أقسى من امتحان، يتغلب فيه المرء على صبوته وغريزته، تبذُلُ له حسناءُ نفسها، وهو في فحولة الرجولة. وهي في حالة رفيعة من الجمال والجاه، فاتنةً عاشقةً، مختليةً متعرضة، متكشفةً متهالكةً، فحينها لا ينبغي أن ييأس الرجل، إذ إن مطارقَ الخوف من الله ومراقبته، تعينه على أن يرى برهان ربه، وتذكرهُ بقوله تعالى عن يوسف: **﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾** [يوسف: ٢٣].

لقد اجتمع ليوسف عليه السلام، من الدواعي لإتيان الفاحشة الشيءُ الكثير؛ فلقد كان شاباً وفي الشباب ما فيه، **﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾** [يوسف: ٢٤]، وقد غلقت الأبواب، وهي ربةُ الدار، وتعلم بوقت الإمكان وعدم الإمكان فكان ماذا؟ **﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** [يوسف: ٢٣]، استعاذة وتنزه واستقباح، لماذا؟ وما هو السبب؟ لأنه يعبد الله كأنه يراه، فأراه الله برهان ربه **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾** [النازعات: ٤٠، ٤١].

«**كـان الكفل، من بني إسـرائيل، لا يتـورع من ذنب عـمله، فأتـته امـرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلمـا أرادها على نفسه،ارتعدت وبكت، فقـال : ما يبـكيك؟ قالت : لأن هذا عـمل ما عـملته، ومـا حملني علـيه إلا الحاجـة. فقال: تفـعلين أنت هذا من مخـافة الله ، فأنا أحـرى، اذهبي فلك ما أعطيتك ووالله مـا أعصـيه بعدها أبدًا، فـمات من ليلتـه فأصبح مـكتوبًا على بابه: إن الله قد غفـر للكفل، فعجب الناس من ذلك**» رواه الترمـذي وحسنه والحاكم وصححه .

فاتقـوا الله معـاشر المسلمين وتـخلقوا بأخـلاق رسول الله ﷺ واهتــدوا بهديه تفلحوا ، ويتحقق لكم ما وعدكم به من الاستظلال بظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين. .

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن من الناس، من أنعم الله عليه بشيء من المال، فما أنكر فضل الله عليه، بل هو ينفق بسخاء، ويتسللُ إلى المساكين لواذًا، يعلم أن من الفقراء من يحرجه علنية العطاء، فذاك رجل تخطى عقبة الجشع، أنقذه الله ممن عبدوا الدينار والدرهم، فكانوا أحلاس بخلٍ وإمساك، سجاياهم المتكررة منعٌ وهات، بل هات وهات، قد قضوا على أنفسهم أن يعيشوا مرضى بالصحة، فقراء بالغنى، مشغولين بالفراغ، لكنهم مع ذلك لا يجدون في المال معنى الغنى؛ إذ كم من غني يجد وكأنه لم يجد، إلا عكس ما كان يجد، وما علموا قول النبي ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» متفق عليه.

إن النفس بطبعها، تميلُ إلى إبراز عملها، لاسيما الصدقة، كل هذا لتحمد؛ فإذا ما جاهد المرء نفسه، حُق له أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ورحم الله مالك بن دينار؛ حيث يقول: «قولوا لمن لم يكن صادقًا لا يتعنّى»، ولقد قال ابن عائشة: قال أبي:

«سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات عليُ بن الحسين رضي الله عنه».

عباد الله:

ما أسعدها من لحظات، يجلسها المرء خاليًا فيها مع نفسه، يناجي ربه وخالقه، فيهتن دمعه عذبًا صافيًا، خاليًا من لوثة الرياء، وإن نيران المعاصي، التي تأتي على قلب المسلم، فتحيله إلى فحم أسود كالكوز مجخيًا، لا يطفئها إلا تلك الدموع، التي تنهمر على إثر ذكر الخالق وخشيته، ولقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار، فإذا جن الليل فكأنه قتل أهل القرية من البكاء.

ولقد كان أيوب السختياني ربما حدث بالحديث، فيرق فيتمخط ويقول: ما أشد الزكام. يظهر أنه مزكوم، لإخفاء البكاء، رجاء أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله. وقام محمد بن المنكدر ذات ليلة فبكى، ثم اجتمع عليه أهله، ليستعلموا عن سبب بكائه، فاستعجم لسانه، فدعوا أبا حازم، فلما دخل هدأ بعض الشيء، فسأله عن سبب بكائه فقال تلوت قول الله: ﴿**وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ [الزمر: ٤٧] فبكى أبو حازم، وعاد محمد بن المنكدر إلى البكاء، فقالوا: أتينا بك لتخفف عنه فزدته بكاءً.

روى النسائي وأحمد من حديث عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله: ما النجاة ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعْكَ بيتُك وابك على خطيئتك**».

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنه لابد من الخوف والبكاء، إما في زاوية

التعبد والطاعة، أو في هاوية الطرد والإبعاد، فإما أن تحرق قلبك أيها المسلم بنار الدمع على التقصير، وإلا فاعلم أن نار جهنم أشد حرًا ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢] فانظروا عباد الله إلى البكائين في الخلوات، قد نزلوا على شواطئ أنهار دموعهم، فلو سرتم عن هواكم خطوات لاحت لكم خيامهم ولسمعتم بكاءهم ونشيجهم، ولسان حالهم يقول:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر   عينًا لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها   أرأيت عينًا للدموع تعار

اللهم صل على محمد .....

* * *

لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن

الخطبة الأولى

الحمد لله القوي المتين، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى، سبحانه وبحمده، يحب التوابين ويحب المتطهرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه، سيدُ الأولين والآخرين، وقائدُ الغر المحجلين. فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين:

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي وصيته للأولين والآخرين ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّه ﴾ [النساء: ١٣١] فبتقوى الله، رفع الإسلام سلمان فارس، وبفقدها وضع الشركُ الشقيَّ أبا لهب، فاتقوا الله واعبدوه واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

أيها الناس :

إن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا، هي نعمة الإسلام، نعمة الحنيفية السمحة، وهي الاستسلام لله تعالى، والانقيادُ له بالطاعة والخلوصُ من الشرك. والأحكام والشرائع من مقتضاها الإيمان بها، والتسليمُ المطلقُ للشارع الحكيم سبحانه ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[البقرة: ١٣٦]، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

أيها المسلمون :

صدقُ الكلمة، وأمانة الحديث والتسليمُ للشارع الحكيم، سمةٌ غُداف. لها وقعها البالغ في نفوس الناس، إذا ما تحققت طلبتها في أقلام الإعلاميين وممتهني الصحافة، وبفقدانها وإعوازِ طلابها، تَجني الصحافةُ على الدين والأدب.

وفي عناقيد الأقلام المحبَّرة، نفوس مريضة، تجاوزت نطاقَها، وخلعت جلبابها الساتر، وانتماءها الزائف، حكَّموا عقولهم فخالفوا كل منقول، وصادموا بها المشروع. أقحموا أنفسهم مدعين علم ما لم يعلموا، فنَعق منهم ناعق، هو من جهّال بعض المعطلين، العميان المنكوسين، والأغبياء المركوسين، فانتقد بشدة وتشنج جعل الوضوء من الدين، وادعى أنه إنما شرع الوضوء في غابر الزّمن، إزالةً لقذارة الأعراب، ورعونة العيش في إبانهم، ولأجل أن العرب كانوا قليلي العناية بالنظافة، لقلة المَاء عندهم، ولقرب أهل الحضر منها من البدو، في قلة التأنق والترف.

ويقول الغرُّ كاذبًا: إن الطهارة والآداب، يجب أن تؤتى، لمنفعتها وفائدتها المترتبة عليها دنيويًا ودينيًا، ويضرب بالغرب مثالاً يحتذى، في النظافة والتطهر، وهم مع ذلك غيرُ مسلمين، في عصر الحضارة والنضارة، وأن هذا من منطلق حقائق الفلسفة.

والحق المسلَّم أيها الناس، أنه لا نصيب لمثله منها إلا السفه، والتقليد في الكفر من غير بينة ولا عذر؛ لأنه من عُمْي القلوب، عَمُوْا عن كل فائدة، لأنهم كفروا بالله تقليدًا.

عباد الله:

الوضوء لفظة مشتقة من الوضاءة، وهي الحسن والنظافة، سمي الوضوء بذلك؛ لأن المصلي يتنظف به فيصير وضيئًا، وهو فرض من فروض الأعيان في الإسلام، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين قاطبة، فلقد قال الله تعالى في آية المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...**﴾ [المائدة: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة بغير طُهور ولا صدقة من غلول**» رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**» أخرجه الشيخان.

فكيف إذًا بعد هذا عباد الله، أيستهان بالوضوء ويقلّلُ من شأنه، وقد تواتر النقل فيه تواترًا قطعيًا، لايدع مجالاً للشك أو الريبة، بل لا يستهين به، ولا يشك في أمره، إلا أغرارٌ مأفونون، ولهازم يهرفون بما لا يعلمون، والله أعلم بما يوعون، كيف لا ورسول الله ﷺ يقول: «**ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» رواه أحمد وابن ماجه، فما بالكم عباد الله، بمن لا

يحافظ عليه، بل ما ظنكم بمن يتطاول عليه، بكل ما يملك من عنجهية وسفه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ألا فاعلموا عباد الله ، أن آية المائدة هذه، من أعظم آيات القرآن مسائل، وأكثرها أحكامًا في العبادات، وبحق ذلك، فإنها في الوضوء وهو شطر الإيمان كما صح بذلك الخبر عن المصطفى ﷺ عند مسلم في صحيحه.

قال أبو بكر بن العربي: لقد قال بعض العلماء: إن في آية المائدة هذه، ألفَ مسألة، واجتمع أصحابنا بمدينة السلام، فتتبعوها فبلغوها ثمانمائة مسألة ولم يقدروا أن يبلغوها ألفًا، وهذا التتبع، إنما يليق، بمن يريد تعريفَ طرق استخراج العلوم من خبايا الزوايا . اهـ.

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن سورة المائدة: هي أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي، ولهذا افتتحت بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة: ١] والعقود هي العهود. فكيف إذن يفقه الوضوء من لم ينقه بعد، ألم يعلموا أن هذا الوضوء من خصائص أمة محمد ﷺ ، التي اختصت بها عن سائر الأمم بدليل قول المصطفى ﷺ : «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء**» رواه البخاري، فرسول الله ﷺ يعرف أمته يوم القيامة بهذه السيماء، فقبحًا وسحقًا، ويا للضيعة لمن لم يلامس الوضوءُ بشرته.

قال أبو حازم: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يده حتى تبلغ إبْطه، فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟فقال: يا بَني فرُّوخ، أنتم هاهنا ، لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**» رواه مسلم.

عباد الله :

الوضوء للصلاة، فرضه الله تعالى على هيئة يسيرة، فالمرء المسلم يطهر في وضوئه أربعةَ مواضعَ من أعضائه فقط، وهيَ الوجه واليدان إلى المرفقين غسلاً، والرأس مسحًا بلا غسل، والرجلان إلى الكعبين غسلاً.

ففي الوجه عباد الله، النظرُ والشم والكلام، وفي الرأس السمعُ والفكر، وفي اليدين البطش، وفي الرجلين الخطى.

ولما كان عمل المرء في هذه الحياة، لا يكاد يخرج عن عضو من هذه الأعضاء، ولما كان المرء بطبعه خطاءً، فقد يأكل الحرام أو يتكلم به، أو ينظر إليه أو يشمُه، وقد يسمع الحرام أو يمشي إليه أو يمسك بالحرام أو نحو ذلك - كان بحاجة ماسة، إلى ما يعينه، على تطهير أدرانه، وتكفير ذنوبه التي اقترفها بتلكَ الجوارح، فشرع الله برحمته وحكمته الوضوء، يُزيلُ به الإصْرَ والغُل.

فإذا ما توضأ العبد المسلم فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه، مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه، خرج من يديه كلُّ خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيّاً من الذنوب.

بذلكم أيها المسلمون صح الخبر عن المصطفى ﷺ عند مسلم في صحيحه. ولقد روى في صحيحه أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره ...**»الحديث.

والمكاره تكون بشدة البرد، أو ألم الجسم، أو حرارة الماء أو نحو ذلك .

إن هذا الوضوء المتجدد كل يوم مرات ومرات، هو الدرع الواقي بأمر الله ، الذي يحفظ اليدين من القذر، والذراعين من الأوساخ، والفم من النتن، والأنف مما يعلق به، والعينين من الرمص، والرجلين من رائحتهما الكريهة، وهو فوق ذلك كله، يلطف حرارة الجسم، ويزيلَ عنه الخمول والتثاقل، ويبعث فيه النشاط . فيكون جديرًا بأن يُقيم الصلاة على وجهها؛ إذ يعسر مثلُ ذلك في حال الفتور والاسترخاء والملل، الذي يعقب خروج الفضلات من البدن، فالحاقن من البول والحاقب من الغائط، والحازق من الريح كالمريض، كل منهم تكره صلاته على هذه الحال أخذًا من قول المصطفى ﷺ : «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**»، فإذا توضأ المرء المسلم، زال عنه ذلك كلهُ فنشط وانتعش .

عباد الله :

بالوضوء يخمد ثوران النفس، وتنطفئ نارها؛ لأن الغضب والتشنجَ من الشيطان، والشياطين، خلقت من نار، وأجدى ما يطفئ النار هو الماء، ولأجل ذا قال المصطفى ﷺ : «**فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» رواه أحمد .

كما أنه قد صح عن النبي ﷺ عند مسلم وغيره أنه «أمر بالوضوء من لحوم الإبل» ولعل السر في ذلك والله أعلم ، هو أن الإبل مخلوقةٌ من الشياطين كما صح ذلك عند ابن ماجه وغيره فناسب إزالةُ الخيلاء والأنفة المنبعثين من الجان، بالوضوء بالماء، بل إن في الوضوء منجاة من جنس الشيطان، وقطعًا لدابره، قال رسول الله ﷺ : «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً، فإذا استيقظ فذكر الله عز وجل انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت**

عقدتان»...الحديث رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية للبخاري: «**إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثًا فإن الشيطان يبيت على خيشومه**».

وبعد عباد الله، فإن الوضوء المتجدد، يذكرنا بنعمة عظمى، منَّ الله بها على عباده وهي نعمة الماء الطهور ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾ [الفرقان: ٤٨]وما ذلك إلا ليكون ريّاً للظمأ، وإنباتًا للزرع، وإدرارًا للضرع، وتطهيرًا للأبدان وجمالاً في المنظر !! فهل بعد هذا الحديث عن الوضوء وفضائله وآثاره، يسوغ لنفس سوية، أن تحقِّر من شأنه، أو تَقْصُرَ منفعته، أو أن تخوض في لجة مغرقة، من القول على الله بلا علم، سبحانك يارب سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر، والشافعُ المشفع في المحشر، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر وعلى من تبعهم واقتفى أثرهم ممن قضى نحبه أو غبر.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الوضوء شأنه عظيم وأمره جسيم. وهو لم يكن مقتصرًا يومًا ما على رفع الحدث أو عند إرادة الصلاة، بل إنه مشروع في مواضع كثيرة خارجة عن الصلاة؛ كشرعيته عند الغضب، وكذا عند النوم، كما قال رسول الله ﷺ للبراء بن عازب: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وُضوءك للصلاة**» الحديث رواه البخاري، وكذا يشرع عند الأكل لمن كان جنبًا، فلقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا كان جنبًا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة» رواه مسلم.

وكذا قال ﷺ فيما رواه مسلم: «**إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ**».

والوضوء مشروع للعائن، ليصبه على من عانه. فلقد اغتسل أبو سهل ابن حنيف بالخرار، فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد فقال له عامر: ما رأيت كاليوم، ولا جلد عذراء،

فوُعك سهلٌ مكانه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**علام يقتل أحدكم أخاهَ؟ ألا بركت عليه، إن العين حق توضأ له**»، فتوضأ له عامر، فراح سهلٌ مع رسول الله ﷺ . رواه مالك في الموطأ.

عباد الله:

وبما أن الشيء بالشيء يذكر، فإن الوضوء مرتع خصب، يجول الشيطان من خلاله على قلوب بني آدم، فقد يوسوس إليهم بالنية فتراه يقول: أرفع الحدث، أو يقول: أستعد للصلاة، ونحو ذلك من ألفاظ جعلها الشيطان معتركًا لأهل الوسواس، يحبسهم عندها، ويعذبهم فيها، وربما لبس على بعضهم بكثرة استعمال الماء، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فاتته الجماعة، أو توضأ بما يعادل برْكَة ماء، صبّاً صبّاً ودلكًا دلكًا، تعذيبًا لأنفسهم، وما علموا أن النبي ﷺ كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع، وكان أبو الوفاء بنُ عقيل قد دخل رباطًا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء، وسأله رجل موسوس فقال: إني لأنغمس في النهر ثم أخرج منه، وأشك أن وضوئي قد صح، فقال له: سقطت عنك الصلاة؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: «**رفع القلم عن ثلاثة**» وذكر منهم: «**المجنون حتى يفيق**».

كل ذلك من استيلاء إبليس على الموسوسين، حتى إنهم أجابوه إلى ما يشبه الجنون، ويقاربُ مذهب السوفسطائية، الذين ينكرون حقائق الموجودات، فهؤلاء أحدهم يغسل عضوه غسلاً يشاهده ببصره، ثم يشك هل فعل ذلك أم لا، حتى إنه يعذب نفسه بكثرة استعمال الماء، وإطالة العرك، وربما صار إلى حال يسخر منه الصبيان، بل قد يبلغ الأمر ببعضهم أن يرى أنه إذا توضأ وضوءً رسول الله ﷺ فوضوؤه باطل. أعاذنا الله وإياكم من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

اللهم صل على محمد ......

* * *

الابتلاء بالأمراض

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً لا يستأخرون عنها ساعةً ولا يستقدمون، قدّر مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السموات والأرضَ بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان وما سيكون، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفذ لا مشيئة العباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيّه وخليله، وخيرته من خلقه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الأجدانِ: الليلُ والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، التي هي معتصمٌ عند البلايا، وسلوانٌ في الهم والرزايا، واعلموا حفظكم الله ورعاكم، أن

الابتلاء سنة ربانية ماضية، هي من مقتضيات حكمة الله سبحانه وعدله، متمثلاً وقعه بجلاء، في الفقر والغنى، والصحة والمرض، والخوف والأمن، والنقص والكثرة، بل وفي كل ما نحب ونكره، لا نخرج من دائرة الابتلاء ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ، ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾ [الأنبياء: ٣٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة.

عباد الله :

العاقل الحصيف يجب عليه حتمًا أن يوقن، أن الأشياء كلَّها قد فُرِغَ منها، وأن الله سبحانه، قدَّر صغيرَها وكبيرَها، وعلم ما كان و ما سيكون وأن لو كَان كيف يكون، ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ [الأنعام: ٣٨] قال رسول الله ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» رواه أبو داود.

فالمقادير عباد الله كائنة لا محالة، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه، وإذا ما قُدِّر على المرء حالُ شدة، وتكنَّظته الأمور، فيجب عليه حينئذ أن يتزر بإزار له طرفان: أحدهما الصبر، والآخر الرضا، ليستوفي كمالَ الأجر لفعلهً ذلك، فكم من شدة قد صعبت، وتعذر زوالها على العالم بأسره، ثم فُرِّجَ عنها بالسهل في أقل من لحظة .

قيل للحسن: يا أبا سعيد: من أين أتي هذا الخلق؟ قال: من قلة الرضا عن الله. قيل: ومن أين أتي قلة الرضا عن الله ؟ قال: من قلة المعرفة بالله .

ولما جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج ليقتله: بكى رجلٌ فقال له سعيد:

ما يبكيك؟ قال: لما أصابك قال سعيد: فلا تبك إذًا، لقد كان في علم الله أن يكون هذا الأمر، ثم تلا: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا** ﴾ [الحديد: ٢٢] .

وما يصيب الإنسان، إن كان يَسُرُّهُ فهو نعمة بينة، وإن كان يسوؤه فهو نعمة؛ من جهة أنه يكفر خطاياه ويُثابُ بالصبر عليه، ومن جهة أن فيه حكمةً ورحمةً لا يعلمها ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له؛ ولا يكون ذلك إلا للمؤمن**» رواه مسلم.

أيها الناس:

إن البشر قاطبة، مجمعون إجماعًا لا خداج فيه، على أن الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى، وأن الصحة والعافية، نعمةٌ مغبون فيهما كثير من الناس... الأمراض والأسقام عباد الله، أدواء منتشرة انتشار النار في يابس الحطب، لا ينفك منها عصر، ولا يستقل عنها مصر، ولا سلم منها بشر ولا يكاد إلا من رحم الله؛ إذ كلها أعراض متوقعة، وهيهات هيهات أن تخلو الحياة منها، وإذا لم يُصب أحد بسيلها الطام، ضربه رشاشها المتناثر هنا أو هناك.

ثمانية لابد منها على الفتى ... ولابد أن تجري عليه الثمانية
سرور وهم واجتماع وفرقة ... ويسر وعسر ثم سقم وعافية

الأمراض والأسقام، هي وإن كانت ذاتَ مرارة وثقل، واشتداد وعَرْك، إلا أن الباري جل شأنه، جعل لها حكمًا وفوائد كثيرةً، علمها من

علمها وجهلها من جهلها.

ولقد حدث ابن القيم رحمه الله عن نفسه في كتابه «شفاء العليل» أنه أحصى ما للأمراض من فوائد وحكم، فزادت على مائة فائدة، وقال أيضًا: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض، أمر لا يُحسُّ به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفةٌ على آلام الأبدانَ ومشاقِها». انتهى كلامه رحمه الله.

إن الابتلاء بالأمراض والأسقام، قد يكون هبةً من الله ورحمة، ليكفر بها الخطايا ويرفع بها الدرجات، فلقد استأذنت الحمى على النبي ﷺ فقال: «من هذه؟» قالت: أم ملْدمَ - وهي كنية الحمى - فأمر بها إلى أهل قباء، فلقوا منها ما يعلم الله، فأَتوه فشكوا ذلك إليه فقال: «**ما شئتم، إن شئتم، أن أدعو الله لكم فيكشفَهَا عنكم، وإن شئتم أن تكون لكم طهوراً**» قالوا: يا رسول الله: أو تفعل؟ قال: «**نعم**» قالوا: فدعها. رواه أحمد والحاكم بسند جيد.

وقال ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذىً من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته كما تحُطُّ الشجرةُ ورَقَهَا**» رواه البخاري ومسلم.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: أرأيت هذه الأمراضَ التي تصيبنا مالنا بها؟ قال: «**كفارات**»، قال أبي بنُ كعب، وإن قلّت قال: «**وإن شوكةً فما فوقها**» رواه أحمد.

ولقد عاد رسول الله ﷺ مريضًا من وعْك كان به فقال ﷺ: «**أبشر، فإن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظَّهُ من النار في الآخرة**» رواه أحمد وابن ماجه. والوعك: هو الحمى.

فمن هنا عباد الله ، نعلم النتائج الإيجابية التي يثمرها المرض، ونعلم أن مذاقه كالصبر، ولكن عواقبه أحلى من الشهد المصفى، فعلام إذًا يَمْذَلُ أحدُنا من المرض يصيبه، أو يسبه ويشتمه، أو يعلل نفسه بليت وليت، وهل ينفع شيئًا ليت؟!

ألا فاعلموا أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب فقال: «**مالك يا أمَّ السائب تزفزفين؟**» قالت: الحمى، لا بارك الله فيها فقال: «**لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكيرُ خبثَ الحديد**» رواه مسلم.

ولقد أصاب أحدَ السلف مرضٌ في قدمه فلم يتوجع ولم يتأوه، بل ابتسم واسترجع فقيل له: يصيبك هذا ولا تتوجع؟! فقال: إن حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه.

وبعد عباد الله فلا يُظنُّ مما سبق، أن المرض مطلب منشود لا وكلا، فإنه لا ينبغي للمؤمن الغُر أن يتمنى البلاء، ولا أن يسأل الله أن ينزل به المرض؛ فلقد قال رسول الله ﷺ: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية**» رواه النسائي وابن ماجه.

وقال مطرف: «لأن أعافى فأشكر أحبُّ إلي من أن أبتلى فأصبر». ومن هنا نعلم جيداً، أن المرض ليس مقصوداً لذاته، وإنما لما يفضي إليه من الصبر والاحتساب وحسن المثوبة، وحمد المنعم على كل حال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المصائب التي تجري بلا اختيار العبد، كالمرض، وموت العزيز عليه، وأخذ اللصوص ماله، إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نَفس ما يحدث منَ المصيبة، لكنَّ المصيبة، يُكفرُ بها خطاياه، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها» اهـ. كلامه رحمه الله.

ومن هذا المنطلق عباد الله ، اجتمع الكافر والمسلم والبَرّ والفاجر في مصيبة المرض على حد سواء، وافترقا في الثمرة والعاقبة، ولا يسوي بينهما في ذلك إلا ألْيغُ أرعن، واقع فيما قال ابن مسعود رضي الله عنه : «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا، وأمرضهم قلبًا. وتلقون المؤمنَ من أصحِّ الناس قلبًا وأمرضهم جسمًا، وأيم الله ، لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم، لكنتم أهونَ على الله من الجعلان».

ودخل سلمان الفارسي رضي الله عنه على مريض يعوده فقال له : «أبشر، فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارةً ومستعتبًا، وإن مرض الفاجر كالبعير؛ عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عُقِل ولم أرسل».

عباد الله :

إن الإسلام حين يرغب في الصبر على البلوى، ويبين ما تنطوي عليه الأسقام من آثار شافية، وحكم كافية، فلا يَفْهم مخطئ أنه يمجد الآلام، ويكرّم الأوجاع والأوصاب، إنما يحمد الإسلامُ لأهل البلوى وأصحاب الأسقام، رباطةَ جأشهم وحسنَ يقينهم ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾ [النساء: ١٤٧].

اشتكى عروة بن الزبير الآكلة في رجله، فقطعوها من ركبته، وهو صامت لم يئن، وفي ليلته تلك سقط ولد له من سطح فمات، فقال عروة: اللهم لك الحمد، كانوا سبعةً من الولد فأخذت واحدًا وأبقيت ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدًا وأبقيت ثلاثة، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت قد ابتليت لقد عافيت.

فرحم الله عروة وغفر له، فلقد كان بعض المرض عنده أخف من بعض، وبلاؤه أهون من بلاء غيره، فهان عليه مرضه، وهانت عليه بلواه.

وهذا هو ديدن المؤمن، ينظر بعين بصيرته فيحمد الله على أمرين:

أولهما: دفعُ ما كان يمكنُ أن يحدث من هنيزة أكبر؛ حيث علم أن في الزوايا خبايا، وفي البرايا رزايا.

وثانيهما: بقاءُ ما كان يمكنُ أن يزول، من صحة غامرة وفضلٍ جزيل، فهو ينظر إلى النعمة الموجودة، قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة.

عباد الله:

إن الأسقام إذا استحكمت وتعقدت حبالُها، وترادفت حلقاتُها وطال ليلها، فالصبر وحده، هو العاصم بأمر الله من الجزع عند الريب، وهو الهدايةُ الواقيةُ من القنوط عند الكُرَب، فلا يرتاع المؤمن لغيمة تظهر في الأفق، ولو تبعتها أخرى وثالثة، بيد أن الإنسان، إبان طبيعته، يتجاهل الحقائق، فيُدهش للصعاب إذا لاقته، فينشأ له من طبعه الجزوع، ما يبغّضُ إليه الصبر، ويجعلُه في حلقه مر المذاق، فيتنجنج ويضيق، ويحاول أن يخرج من حالته على نكظ، فينسى قول خالقه: ﴿**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾ [الأنبياء: ٣٧].

واستمعوا رعاكم الله إلى ما قصه رسولنا ﷺ عن مرض أيوب عليه السلام، قال ﷺ: «**إن أيوب نبي الله، لبث في بلائه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخصّ إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله، لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه اللهُ فيكشفَ ما به.**

فلما راح إليه لم يصبر الرجلُ حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم، أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي، فأكفرُّ عنهما، كراهية أن يذكرُ الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته، أمسكت امرأته بيده.

فلما كان ذات يوم، أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فبلغته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أحدًا. كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال: فإني أنا هو، وكان له أندران؛ أندر القمح وأندر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض» رواه ابن حبان والحاكم وصححه الذهبي.

فانظروا عباد الله، وانظروا أيها المرضى إلى أيوب وصبره، فلقد صدقت الحكمة ولقد صدق قائلها: «الصبر صبر أيوب» ثمان عشرة سنة، وهو يتقلب في مرضه لتكون عاقبةُ صبره يسراً.

وكثيراً ما تكون الآلام طهوراً يسوقه الله بحكمته إلى المؤمنين الصادقين لينزع منهم ما يستهوي ألبابهم من متاع الدنيا، فلا يطول انخداعهم بها أو ركونهم إليها، وربّ ضارة نافعة، بل كم من محنة محوية في طيها منح ورحمات مطوية.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن ثمةَ أمورًا، يجب أن يعرفها المرضى، فمنها البشرى لكل مريض أعاقه مرضه عن القيام بالسنن والنوافل التي كان يواظب عليها إبان صحته، بأنها مكتوبةٌ له لا يَضيعُ أجرها، قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**» رواه البخاري.

كما ينبغي التنبه إلى ما يقع فيه بعض المصابين بالمرض النفسي، من العلاج بالمعازف والغناء الذي حرمه الله ورسوله ﷺ ، فإن شفاء الأمة لم يك قط فيما حرمه الله عليها ، ومعلوم أن الأدوية ثلاثة: دواء مشروع كالرقية والعسل وزمزمَ ونحوها. ودواء مباح؛ وهو ما لم يحرمه الشارع: وأدوية محرمة؛ لا يجوز التداوي بها. وإن لكل داء دواءً علمه من علمه وجهله من جهله.

ثم ليعلم المرضى، أنه لا ينبغي التهاون بالصلاة حال المرض، فيجب أن تُصلى الصلوات الخمس في وقتها إن استطاع ، فإن لم يستطع جمع بين الظهر والعصر،

وبين المغرب والعشاء رخصة من الشارع الحكيم، كما يجب عليه أن يتطهر للصلاة التطهر الشرعي، فإن لم يستطع فإنه يتيمم، فإن لم يستطع فإنه يصلي على حاله ولا يدع الصلاة تفوت عن وقتها ؛ لأن الله يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ، ويقول: ﴿ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ثم ليعلم المرضى أن الأنين والتوجع له حالتان: الأولى: أنين شكوى فيكره، والثانية: أنين استراحة وتفريج، فلا يكره. بذلك قال ابن القيم رحمه الله .

والعلم عند الله تعالى .

اللهم صل على محمد .....

* * *

يا أشباه الرجال ولا رجال

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادُّون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، المعروف من غير رؤية، والخالق بلا حاجة، والمميت بلا مخافة، والباعث بلا مشقة، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، مبدئ الخلق ووارثه وإله الخلق ورازقه، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: البشير النذير والسراج المنير، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ فإنها الزمام وبها القوام، فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تألُ بكم إلى أكنان الدعة وأوطان السعة ومنازل العز، في يوم تشخص فيه الأبصار ويُنفخ في الصور فتدك الشُم الشوامخ والصم الرواسخ، فيصير صلدها سرابًا رقرقًا، ومقرها قاعًا صفصفًا. يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، يومَ يُنجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين في جهنم جثيًا.

أيها المسلمون:

إن من ضلال البشرية وخيبة آمال المجتمعات المسلمة أن تُعرض عن نور ربها وهدي خالقها، لتضل في مسالك الغبراء ثم تغدو كجرثومة الداء ودود العلق، وإن الغلو في حب الدنيا عباد الله هو رأس كل خطيئة، والتنافس عليها أساس كل بلية، من أجل متاع الدنيا يبغي الناس بعضهم على بعض، ومن أجلها يغش التُّجار ويُطففون، ومن أجل الدنيا يتجبر الرفعاء ويستكبرون.

من أجل الدنيا وزخرفها يُروج الصحفي بقلمه الكذب والزور ويخفي الحقائق وهي أوضح من فلق الصبح، ومن أجل الدنيا يصبح المرء مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها؛ من مترف مبطون يأكل ولا يشبع، وقاروني يجمع ويجمع ثم يأخذ ويمنع، أصابه سعار الكانز فلا ينتفع بالكثير مهما امتد، ومن فتاة مغلوبة نوديت إلى الفضيلة فأبت، ودعيت إلى صيانة بيتها ونفسها فتمردت، وألقت ثيابها لكل قادم والغ وآثرت وأدها حية بلا تراب.

عباد الله:

الأخلاق المثلى عماد الأمم وقوام الشعوب، وهي باقية بأمر الله ما بقيت أخلاقهم، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا، هي مُسَلَّمة لا ينازع فيها إلا أرعن مكابر، كما أن تدهور الأخلاق وضياعها ناجم عن ضعف الوازع الديني الزاجر الذي يمتلك عنان النفس ويسيطر عليها ويكبح جماحها ويهتن دمعها فيغسلها بالماء الزلال الذي يبرد الفؤاد، ناهيكم أيها المسلمون عن كون حُسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة كما صح بذلكم الخبر

عن المصطفى ﷺ عند الترمذي وغيره.

حسن الخلق ثمرة من ثمرات الإيمان اليانعة، متمثلة في سلامة الصدر من الغل والحسد والبغضاء والشحناء وزم النفس عن سفاسف الأمور وقوادح الأخلاق، إنه لا يكمل إيمان المسلم إلا بكمال خلقه ورسول الله ﷺ يؤكد ذلك كله بقوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» متفق عليه. ويقول أيضًا: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن**» قيل: من يا رسول الله قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» رواه البخاري.

فالرجل الصفيق الوجه المعوج السلوك، الذي يقترف الرذائل غير آبه بأحد، إنما هو المقصود في ما ذكره المصطفى ﷺ بيد أن بعض الناس يستسهلون أخذ بعض العبادات المفروضة، ويظهرون في المجتمع العام بالحرص على إقامتها، وهم في الوقت ذاته ذئاب في الظلام يرتكبون أعمالاً يأباها الشارع الحكيم، وتنفر منها الفطر السليمة.

ولقد سأل رسول الله ﷺ أصحابه يومًا فقال: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» رواه مسلم. فرحماك يا رب رحماك عفوك يا الله ومغفرتك.

فلينتبه لذلك المغرورون المعجبون بأعمالهم وطاعاتهم ومعارفهم، في حين إنهم بادو الشر كالحو الوجوه قريبو العدوان، ألا فلينتبهوا جميعًا إلى خطورة هذه الهوة السحيقة التي تقذفهم فيها تبعاتها، وليعلموا حقيقة من

المفلس؟ وأن من كانت هذه خلاله فلا يغتر بكونه يملك ألفًا، فإن ما عليه من الحقوق والتبعات يزيد على الألفين، فكيف يرى أنه غني من هذه مسكنته، بل كيف يرى أنه مكتف من هذه مسغبته، ألا وإن حسن الصورة وجمال المظهر لا يقدم في ذلك ولا يؤخر، فإن جمال الوجه في قبح نفس كقنديل على قبر مجوسي، وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم إذا كانت أخلاقهم غير حسان؟!

لقد استيقظ رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: «**سبحان الله ما أنزل الليلة من الفتن وماذا فُتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحباتِ الحُجَر، فربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**» رواه البخاري.

فماذا يعني لباس المظهر إذا كان المخبر عاريًا باديةً للناس سوءته ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

إن صاحب الشر وسيئ الخلق هما وإن كانا في الصورة المحسوسة ناسًا إلا إنهم بالصورة المعقولة لا ناسٌ ولا نسناس؛ بل كما قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «يا أشباه الرجال ولا رجال»، ولقد صدق الله إذ يقول: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالمؤمن الغرُّ إذًا لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة أو جماد، وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة والخلق اللذين أبانه الله تعالى بهما عن البهائم والسباع والجمادات، فمن سُر بشجاعته التي يضعها في غير موضعها لله سبحانه، فليعلم أن النمر أجرأ منه، وأن الأسد والذئب أشجع منه، ومن سُر بقوة جسمه في غير طاعة الله فليعلم أن البغل والثور والفيل أقوى منه

جسمًا، ومن سُر بحمله الأثقال فليعلم أن الحمار أحمل منه. فأي فخر وأي سرور فيما تكون فيه صورة البهائم متقدمة عليه.

إن أي امرئ لا يعرف إلا الأخلاق لن يغلبه من لا يعرف الأخلاق، وإن من لا يعرف إلا الله لن يسبقه من لا يعرف الله.

عباد الله:

إن المؤمن الغيور ليمسك بكلتا يديه كبده المحترق وقلبه المتقطع أسفًا وحسرة، وإنه ليتساءل أين المجتمعات الصالحة التي كان يغمرها الحياء والخجل وحسن التخلق؟ وأين الذين كانوا يتعاشرون بطباع الفضيلة وأخلاق الشيم والإباء؟ وما المخرج من هذا الحضيض الأوهد والشقاء المؤصد الذي انحدر إليه كثيرون فأصابهم بقذره وخناه إلا من رحم الله؟

ألا إن المخرج دين يحفظ ويردع وحذر بأمر الله ينفع وتواصٍ بالحق وتواصٍ بالمرحمة.

الدين عباد الله هو منشأ الأخلاق ومنبع الفضائل فلا يصحّ دين بلا أخلاق وماذا تُجدي الأخلاق إذا عريت عن الدين بل إن رسول الله ﷺ علل بعثته في أوجز عبارة وأجمع إشارة فقال: «**إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**» رواه الحاكم والبخاري في الأدب المفرد.

ولا غرو أيها المسلمون أن تكون هذه رسالته وهو من قال فيه ربه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]، فلا جرم إذًا ـ عباد الله ـ أن يكون الدين هو الخُلق، فمن زاد علينا في الخلق أو نقص، زاد علينا في الدين أو نقص كما نطق ابن القيم في مدارجه رحمه الله، ومقولته هذه مصداق لما قاله البشير النذير: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا**» رواه الترمذي، وما ذكره بقوله: «**البر حسن الخلق**» رواه مسلم، وقوله: «**إن من خياركم**

أحـــسنكم أخـــلاقًا» رواه البـخاري ومـسلم، وقـوله صلوات الله وسلامـه عليـه: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبـد يوم القيامة من خلق حسن**» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

غـيـر أن الأمـر عـبـاد الله قـد بات من الخطورة بمكان، حـيث ظن أغـرار متفيقهون من ذوي البهاليل، وإنما هم في الحقيقة رجع الصدى لنواقيس الإفرنج وأذناب الإفرنج، ظنوا أن في نشر العلوم والثقافات المتحضرة وحدها غنية وضمانًا للسلام والرخاء، وعوضًا عن التربية والتهذيب الديني والخلقي، وهذا المعنى هو الفلسفة الأخلاقية المثلى -زعموا-، وما عداها فهي سجايا وخصال أكلت عليها السنون وشربت. ومواكبة التيارات في ظل الوفاقات العالمية والدولية، والتعايش الطبيعي بين الأمم والشعوب أمرًا متحتمًا واقعًا وعقلاً!!

﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾ [الكهف: ٥]أفٌ ثم تف للتقليد والتبعيات، ما أثقل أغلالها وما أبخس صفقة الذين لا يتزحزحون عنها، ثم أي فلسفة أخلاقية تلك التي ينشدها المستغربون، وكُل فيلسوف له مذهب، وكُل مذهب له نزوة ومقياس؟

أهي فلسفة المنفعة التي دعا إليها أنانيون أم فلسفة اللذة التي نادى بها مسعورون من سدنة الشهوة، أم فلسفة القوة التي دعا إليها سفاكون أشرار أم هي فلسفة التحرر من القيود الشرعية، والعب من الفوضى بلا مكيال والتي دعا إليها تحرريون ملاحدة أم ماذا يارعاكم الله؟!

والذي نفسي بيده ما ذلك كله إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات في لجة يظنها المتلهف موجة فإذا ما تمكن منها غرق، وكل ذلك

ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

إن الأمة الإسلامية يجب أن تكون قائدة لا مُنقادة، ومتبوعة لا تابعة، وإن الذين يحاولون في تبعيتهم أن يتسللوا لواذًا ويؤلفوا الأمة على خلق طارئ جديد، عليهم جميعًا أن يكفوا عن أخلاق التسول بكل صنوفه؛ في أخلاقهم وطاعاتهم وسياساتهم ومقدراتهم.

وإن الأمم التي تبني مستقبلها على التسول الخلقي لهي أمم ضائعة في مهامه العقل الشحاذ، فهي لا تصلح للحياة، وإلا فأي ضير علينا عباد الله إذا جعلنا لنا صفة خاصة تميزنا عن سوانا، وتدل على أننا أهل دين وخُلق، فهل ذلك إلا الأخلاق الإسلامية الحقة، وهل في الأرض نهضةٌ ثابتةٌ تقوم على غيرها صبغةُ الله؟ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وإن كتاب الله وهدي رسوله ﷺ لا زالا قائمين خالدين، وفيهما كفاية وهداية لو استمع ضال وأجاب مدعو ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٦ - ٣٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر والشافع المشفع في المحشر. صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر وعلى من سار على طريقهم واقتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الخُلق صفة راسخة في النفس، يصدر عنها مآثر الأعمال بسهولة ويسر، بعيدة عن التعقيد والتكلف، وجماع ذلك دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على ما يحبه الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال جعفر الصادق رحمه الله: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

ولقد أحصى الإسلام الفضائل وحث أتباعه على التمسك بها واحدة تلو الأخرى، ولو جُمعت أقوال صاحب الرسالة في التحلي بالأخلاق الزاكية لبلغت ما إن أسفاره لتنوء بالعصبة أولي القوة.

فالواجب على الغر العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق وترك السيئ منه؛ لأن الخلق الحسن يُذيب السوء كما تُذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيئ ليُفسد العمل كما يفسد الخل العسل. فمن حسُن خلقه صان عرضه ومن ساء خُلقه هتك عرضه.

وهل يُنتفع من السيئ الخلق بشيء قال رسول الله ﷺ : «**فمن أحب منكم أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتدركه موتته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت الى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**» رواه النسائي وابن ماجه .

قال مجاهد رحمه الله : إذا لقي المسلم أخاه المسلم فسلم وبش في وجهه تحاتت ضغائنه ، فقال رجل : يا أبا الحجاج إن هذا من العمل اليسير ، فقال مجاهد : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ٦٢ ، ٦٣] فيسيرٌ هذا؟

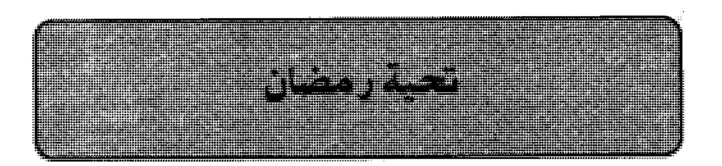
ألا فاعلموا عباد الله أن شر الناس منزلة وأقبحهم صفةً وأكثرهم نفاقًا ذو الوجهين وذو اللسانين ، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر ، ويتكلم أمامك بما يسرك ويذكرك غائبًا بكل ما يسوؤك ؛ دأبه الغيبة ، وشأنه النميمة ، وبضاعته التزلف إلى كل بما يرضيه فهو همازٌ مشاءٌ بنميم ، يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، والله أعلم بما يوعي ، يسرك منظره ويسوؤك مخبره ، إذا جلس معك حسبته صديقًا صدوقًا خلاً وفيًا ، وإذا غاب عنك فرى عرضك فري الأديم ، وقال فيك قولَ أبيّ في عائشة ، فهوش وشوش ثم همز ؛ ولمز بغية مآرب مشبوهة أحسن ما فيها أنها غير حسنة .

فهذا وأمثاله أخطر ما يكونون على المجتمع ، فيهم قال رسول الله ﷺ : «**وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**» رواه البخاري ومسلم ، ولقد قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إنا ندخل على السلاطين فنتكلم معهم بشيء ، وإذا خرجنا من عندهم قلنا شيئًا آخر ، فقال : كنا نعُد ذلك في عهد النبي ﷺ من النفاق .

فاتقوا الله معاشر المسلمين ، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى

البشرية ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صاحب الحوض والشفاعة ، فقد أمركم الله بذلك في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

* * *



تحية رمضان

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحًا لذكره، وسببًا في المزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، أمره قضاء وحكمة، ورضاه أمان ورحمة، يقضي بعلمه ويعفو بحلمه، نحمده على ما يأخذ ويعطي، وعلى ما يعافي ويبتلي، الحمد لله إذ بلّغنا رمضان غير سقماء ولا محرومين، ولا مرتدين عن ديننا ولا مغيرين ولا مبدلين، نحمده بأن كنا عبيدًا مملوكين له، له الحجة علينا ولا حجة لنا عليه/ لا نقدر أن نأخذ إلا ما أعطانا، ولا أن نتقي إلا ما وقانا، نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه، له الحمد كالذي يقول، ومثل ما يقول وخيرًا مما نقول، له الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شهادة يحشرنا الله بها معه، ويوردنا بها حوضه، ويرزقنا شفاعته، يوم لا ينفع مـــال ولا بنون: إلا من أتى الله بقلب سليم. صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى من سار على طريقهم

واقتفى أثرهم إلى يوم المعاد.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عزو جل، التي حمت أولياء الله محارمهَ وألزمت قلوبهم مخافته، فاتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واسألوا الله الجنة فإن العاقبة للتقوى.

أيها الناس:

لقد جاءكم شهر رمضان محيًا بتحايا، تضفي إليه من الجلال جلالاً، ومن البهاء بهاءً، أتاكم رمضان يحمل الجوعَ والعطش، ترى الطعام أمامك تشتهيه نفسُك، وتصلُ إليه يدُك، ولكنك لا تستطيع أن تأكله، ويُلهبُ الظمأ جوفك، والماءُ من حولك، لا تقدرُ على الارتواء منه، ويأخذ النعاسُ بلبك ويداعبُ النومُ جفنيك، ويأتي رمضان ليوقظك لسحورك، إنها ترادف حلقات الصبر والمصابرة، ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**الصوم نصف الصبر**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

فيا سُعد الصائم، كيف ينالُ الأجر في ظمئه وجوعه عند من لا يظلم مثقال ذرة: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٠].

لقد جاء رمضان، لينيب الناس فيه إلى ربهم، ويؤمُّوا بيوته، ليعمروها بالتراويح والذكر، تمتلئ بهم المساجدُ، متعبدين أو متعلمين، والمساجدُ في الأقطار، حفَلٌ بالعبَّادِ صفًا واحدًا، متراصة أقدامُهم وجباههم على

الأرض، سواء الغني والفقير، والوضيع والغطريف، الصعلوك والوزير والأمير، يذلون لله فيعطيهم الله بهذه الذلة عزة على الناس كلهم، إنْ حسُنَ القصد واستُصوبَ العمل، ولا غرو أيها المسلمون، إذ مَن ذلَّ لله، أعزه الله، ومن كان لله عبدًا مطيعًا جعله الله بين الناس سيدًا ومن كان مع الله باتباع شرعه والوقوف عند أمره ونهيه كان الله معه بالنصرة والتوفيق والغفران.

وبذلك عباد الله ساد أجدادُنا الناس، وحازوا المجد من أطرافه، وأقاموا دولة ما عرف التاريخ أنبل منها ولا أفضل، ولا أكرمَ ولا أعدل، فماذا بعد الحق إلا الضلال، نعم، لم يكونوا خواءَ بل إنهم يُذكرون إذا ذُكر رمضان، ويُذكر رمضانُ إن ذكروا، فيه نزل القران على سيد البشر ﷺ وهو لعمر الله حياةُ الناس عند الموت، ونورهم عند الظلمة.

وفي رمضان نصر الله المؤمنين ببدر وهم أذلة، وسماه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، وفي رمضان فُتحت مكّة لنبينا ﷺ فطهرها من وساوس الوثنية، وأزاح منها كل قوى التقهقر والشرك، وفي رمضان يفتح الله على خالد بن الوليد في اليرموك وعلى سعد في القادسية، وعلى طارق بن زياد في الأندلس عند نهر لكة، وعلى الملك قطز والظاهر بيبرس ضد جحافل التتار فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، وكذا حطينُ وجلولاء، ورمضان فيه وفيه وفيه، هذا هو رمضان الذي يجمع للصائم صحة الجسم وعلو الروح، وعظمةَ النفس ورضاء الله قبل كل شيء وبعده.

رمضان أيها الناس شهر الحب والوئام فكونوا فيه أوسع صدرًا، وأندى لسانًا وأبعد عن المخاصمة والشر، وإذا رأيتم من أهليكم زلةً فيه فاحتملوها، وإن وجدتم فُرجةً فسدوها واصبروا عليها، وإن بادأكم أحد بالخصام فلا تقابلوه بمثله، بل ليقل أحدكم: إني صائم، وإلا فكيف يرجو

من يمقت ذلك أن يكونَ له ثوابُ الصائمين، وهو قد صام عن الطعام الحلال، وأفطر على ما سواه من الحرام قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخاري.

وإن امرأتين صامتا في عهد النبي ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش فذُكرَ ذلك للنبي ﷺ فأعرض ثم ذُكرتا له فدعاهما فأمرهما أن يتقيآ فقاءتا ملءَ قَدَحٍ قيحًا وصديدًا ولحمًا عبيطًا، فقال النبي ﷺ: «**إن هاتين صامتا عما أحلَّ الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس**» رواه الإمام أحمد.

فلا إله إلا الله ما أعظم هذا الجرم، ولا إله إلا الله ما أعظمه من انتهاك لحرمة الشهر، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

عباد الله:

الناس مع رمضان أشتات غير متفقين عن اليمين وعن الشمال عزين، فمن الناس من لا يرى في رمضان أكثر من كونه حرمانًا لا فائدة منه، وتقليدًا تعبديًا، لا مبرر له، فهم عازمون على الإفطار فيه، مجاهرين بذلك أو مسرين، فهؤلاء حمقى كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا، و ظنوا أن في الصوم كبتًا للحرية، التي تعني بداهة: انطلاقَ المرء المحموم وراء أهوائه وشهواته، يعُبُّ منها دون حد أو قيد، كلا عبَاد الله فإن هذه حريةٌ مغشوشة، وما هي إلا الفوضى أولاً، والعبودية الذليلة للجسد آخرًا.

والحق عباد الله أن الحرية المادية هي تمامُ العبودية، وتحقيقَ العبودية لله وحده هي تمامُ الحرية والمسلم الصادق عباد الله إنما هو حُرُّ الروح ولو أطبقت عليه الجدران، أو عاش في أرض قفر، هو حرٌ ولو كُبِّلَ بالحديد وجلد بالسياط، وهذه لعمر الله هي الحريةُ الحقة، التي تليق بكرامة بني آدم، وأين

منها حريةُ الأشباح والجسوم الخاوية ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر : ٢٢].

وإن من الناس عباد الله من لا يرى في رمضان إلا جوعًا لا تتحمله أعصاب بطنه ، وعطشًا لا تقوى عليه مجاري عروقه ، قد سئم ذكرَ رمضان ، دخولُه ثقل عليه ، وتمامه عناء يراه وثاقًا مشدودًا أمام رغباته وشهواته ؛ فهو يصومه على مضض فهذا وأمثاله ممن فقدوا لذة الإيمان وسرور الصالحين بالتسليم للخالق جل شأنه في أمره وحكمه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص : ٦٨].

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نذكِّر أمثال هؤلاء ، إن كانوا أهلاً للذكرى ، بما ذكره الحافظ ابنُ رجبَ وغيرُه من أن ولدًا لهارون الرشيد كان غلامًا سفيهًا ، فلما أقبل رمضان ضاق به ذرعًا وأخذ ينشد :

أتاني شهرُ الصوم لا كان من شهر ... ولا صمت شهرًا بعده آخر الدهر
فلو كان يُعديني الأنام بقوة ... على الشهر لاستعديت قومي على الشهر

فأصيب بمرض الصرع ، فكان يصرع في اليوم أكثر من مرة ، وما زال كذلك حتى مات قبل أن يدرك رمضان الآخر . اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

إن صنفًا من الناس ، يرى في رمضان موسمًا حوليّاً ، للموائد الزاخرة بألوان الطعام وصنوفه ، وفرصة سانحةً للهو والسمر ، الممتدين إلى بزوغ الفجر ، فصبحهم مثل ليلهم وأجواؤهم سود ، وأجفانهم جمر يومض ،

أتاهم رمضان ومصائب المسلمين جمة، فآمالهم مدٌ وآلامهم جزر، فغايةُ برِّ هؤلاء بالشهر، أن يكون محلاً للألغاز الرتيبة والدعايات المضللة أو المواعيد المضروبة، لارتقاب ما يستجد، من أفلام هابطة وروائيات مشبوهة، ترمي بشرر كالقصر، لإحراق ما بقي من أصل حشمة وعفاف، أو تدين يستحق التشجيع والإذكاء، ولقد صدق الله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

عباد الله:

أما القلة من الناس وهم كثرة بحمد الله يرون في رمضان شهراً غير هذا كله، وأجلّ من هذا كلِّه، يرون فيه التهذيب الإلهي بالتقوى، والإيثار الجميل، والصبرَ الكريم، علموا أنه دروس يتعلمها الجيل، لا يجدها المرء في المدارس ولا الجامعات، التي محلُّها تثقيفُ العقل لا تزكية النفس، وتنمية المعرفة، لا تقوية الصلة بالله إلا من رحم الله.

هؤلاء عباد الله هم الذين يستفيدون من رمضان، وهم الذين يجدون في نهاره لذة الرجولة والحرية الحقة والصبر في الشدائد، هؤلاء وأمثالهم هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وهم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفورةً لهم ذنوبهم مكفرةً عنم خطاياهم، سموُّ نفس، وشرفُ هدف، ونُبْلُ غاية، وهداية قلب، أولئك في الحقيقة هم الذين تصلحُ بهم الأوضاعُ، وتَسْعَدُ بهم المجتمعات، وما أشد حاجة الأمة المسلمة، إلى أمثالهم في كل عصرٍ وفي كل مصر.

أيها الناس:

الشباب المسلم يصومون، نعم يصومون، ولكن كثيراً منهم يصومون

عن القرى فحسب، ويعيشون في رمضان سبهللا، دون استغلال أو إشغال بما ينفع ويفيد، وإن بقاءهم على هذه الحالة المزرية، ينشئ مشاكل متوالية على الأسرة والمجتمع، بحيث لا يؤويهم إلا الطرق والممرات، فيزعجون هذا ويوقضون ذاك، ويلحظون هذه ويضايقون تلك، وتكون لهم الطرق بمصراعيها، مأدبة إبليسية، تعلمهم كل بذيء من القول وقبيح من الفعل، ولسان حالهم يقول: صفدت شياطين رمضان إلا شياطينهم.

إننا بحاجة أيها المسلمون إلى ما يقوِّم أخلاقهم، ويرفع من ثقافتهم ويحدُّ من عبثهم وضياع أوقاتهم سدى، وأن يُقنعوا بأن العطالة موات، وأنهم أحرى الناس في أن يحشروا مفلسين، لا حصاد لهم إلا البوارُ والخسران.

وأما المرأة المسلمةُ يارعاكم الله، فهي شقيقة الرجل، بل هي نصف المجتمع، ثم هي تلد النصف الآخر، فكأنما هي في الحقيقة مجتمع بأسره، أيكون نشاطها في رمضان، مقصوراً على الطهي والتعمق في فنون المآكل وألوان المشارب، أو بأن تكون خرَّاجة ولأَّجة كاسية عارية، تَفتنُ وتُفتن، دون التفات إلى ما يقرِّبها من خالقها بتلاوة قرآن، أو صلاة نفل أو صدقة، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، في بيتها وأسرتها الذي يعترف بريادتها فيه، أنسيتْ أنها مدرسة الطيبي الأعراق، إنه لم يكن نصيب المرأة في العناية بشهر رمضان، بأقلَّ من نصيب الرجل، فهاهن أمهات المؤمنين، يشاركن سيد الخلق ﷺ فيما يصنع، من صيام وقيام وبذل وجود.

وقد أخرج البخاري في صحيحه «أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الثلثُ الأخير من رمضان، شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»، وهذه عائشة رضي الله عنها تسائل النبي ﷺ: أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال:

«**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**».

ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين وأروا الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك، فإن لله نفحات من حرمها حرم خيرًا كثيرًا، وأبشروا بقول المصطفى ﷺ في الحديث القدسي: «**يقول الله جل وعلا: كل عمل ابن آدم له كفارة والصوم لي وأنا أجزي به**» رواه البخاري.

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مربحًا ومغنمًا، وأوقات البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقًا وسلمًا، أقول ما تسمعون.......

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى صحابته وآله وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله معاشر الصائمين واعلموا أن شهرَ رمضان ، شهرُ الجود والعطاء، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجودَ ما يكون في رمضان، وهو أجودُ بالخير من الريح المرسلة .

وإن من أعظم الجود في رمضان، الصدقةَ الطيبةَ، بشتى صورها: مالاً وطعامًا مواساة، والجمع بين الصدقة والصوم موجب من موجبات الجنة، فلقد قال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة غرفًا يرى ظهورُها من بطونها، وبطونُها من ظهورها**»، قالوا: لمن هي يا رسول الله قال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» رواه أحمد والترمذي.

ألا فليكن للمسلم، السهمُ الراجح والقدحُ المعلى، في العطف على إخوانه في الدين، وفي كفكفة دموعهم، وسدِّ مسغبتهم. وإن الغني الذي لا يُحس بأن عليه للفقراء حقوقًا وواجبات، لقاسي القلب خال من الشفقة، بعيدٌ من رحمة الله ﴿**إن رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦] «**الراحمون يرحمهم الرحمن**» «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في**

السماء» .

إنه ليس من المروءة أن تتمتع أيها الغني بملابس الزينة، وأخوك المسلم يحرقه حر الصيف، ويقرصه برد الشتاء، إنه ليس من المروءة أن تمنع المعونة، وتقبض يديك شحّاً وبخلاً، ومن أبقت عليهم صروف الحياة، في شدة من الضيق، وألم من الإعسار، ألا فاتق الله أيها الغني، وكلف نفسك في تحريك جفنيك، وفتح عينيك؛ لترى المحتاجين ماثلين أمامك في غير ما سبيل، وتصور أن ذريتك الضعيفة تدور عليهم رحى الأيام، والأيام قلّب فيصبحون لا حول لهم ولا قوة **﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾** [النساء: ٩] .

اللهم صل على محمد .....

* * *

ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها

الخطبة الأولى

الحمد لله سبحانه، وضع الخير فيما أحل وأباح، وجعل السوء فيما حرَّم ومنع ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] له دعوة الحق وشرعةُ الصدق ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يضاعف الحسنات ويمحق السيئات ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحبُ الوجه الأنور والجبين الأزهر، إمام الأنبياء وسيدُ الحنفاء، وقائدُ الغر المحجلين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين آمنوا وهُدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد.

أما بعد:

فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإن تقوى الله دارُ

حصن عزيز، تمنع أهلها، وتُحَرِّزُ من لجأ إليها، وبها تُقطع حُمةُ الخطايا، فهي النَّجاة غدًا، والمنجاة أبدًا، والعاقبةُ للتقوى.

عباد الله:

الشريعة الإسلامية شريعة غراء، سمتُها الجُلَّى، أن يعبد الله وحده في الأرض، انطلاقًا من قواعد قررها الشارعَ الحكيم، متمثلةً في جلب المصالح ودرء المفاسد، وحينما يظهر التعارض بين مفسدة ومصلحة، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وذلك كله يدور محوره حول ضرورات خمس، أجمعت الأنبياء والرسل قاطبة على حفظها ورعايتها وهي: الدين والنفس والمال والعرض والعقل.

فكل مفسدة يخشى أن تؤتى، من قبل ضرورة من هذه الضرورات، فإنه يجب درؤها، ودفعها أولى من رفعها، وكان على المتسبب فيها، سواء كان هو المنشئ الأول، أو كان مجيبًا لها بعد إماتة، كان عليه من الإثم والوزر، الذي يتجدد عليه بانتشارها، ويتوالى تراكمه في صحيفة أعماله، إبان حياته وبعد وفاته إلى أن يبعث الله من في القبور، ما لو علمه كثير من المحرّضين إلى الشر، والمغذين للانحراف، لآثروا الموتَ في مهدهم، على أن يقعوا في هوة الذنوب والتبعات، ولأجل ذا قال النبي ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً فعُمل بها بعده كتب عليه مثلُ وزرِ من عمل بها ولا ينتقصُ من أوزارهم شيء**» رواه مسلم. وفي لفظ لمسلم أيضًا: «**من دعا إلى ضلالة** . . . الحديث».

فهذان اللفظان عباد الله، صريحان كل الصراحة، في تحريم سنِّ الأمور السيئة وإشاعتها بين الناس، سواء كان ذلك تعليمَ علم، أو عبادة أو أدبًا أو غيرَ ذلك، وسواء كان العمل بها في حياته أو بعد مماته ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ**

كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] . ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

ولقد جاء في السنة النبوية، ما يدل على نسبة الأحداث إلى محدثها، وأنه يتحمل إثمه إلى يوم القيامة، جراء ما أوقع فيه غيره من إخلال بنهج الله وشرعته، فمن ذلك قول النبي ﷺ : «**ما من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل منها، لأنه أول من سنَّ القتل**» رواه البخاري ومسلم، ويقول ﷺ كما في الصحيحين في قصة صلاة الكسوف : «**رأيت عمرو بنَ لحيٍ يجرُّ قُصبه في النار؛ لأنه أولُ من سيَّب السوائب وغيَّر دينَ إبراهيم**».

وقد ذكر أهل العلم رؤوسًا كثيرة، كانت سببًا في الإحداث بين المسلمين، وإضعاف دينهم بما جلبوه في أوساطهم، مما يفرق ولا يجمع، ويضر ولا ينفع، كابن سبأ الذي قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه، والجعد بن درهم والجهم بن صفوان، اللذين أدخلا الضلال إلى بلاد المسلمين في أصل عظيم من الدين وهو الاعتقاد.

وكالمأمون الذي أنشأ دار الحكمة والتي ترجم من خلالها كتب فلاسفة اليونان، وناضل عن القول بخلق القرآن، وامتحن الناس في أرواحهم وعقائدهم، حتى قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إن الله لا يغفل عمل المأمون حينما أدخل علم الكلام ونصر القول بخلق القرآن وامتحن الناس فيه، ومن بعدهم كثير وكثير ممن أحدثوا في الدين محدثات سارت بها الركبان، وكان لهم في الإفساد في الدين في سائر جوانبه كما فعل بولس بدين النصرانية، وفي بعض المُثُل كنايةٌ وغنية لمن هم في الفهم فُحُل.

عباد الله:

إننا حينما نذ كر مثل ذلك لنؤكد بقوة وعزم، أن الله سبحانه يداول الأيام بين الناس، وأن الفساد والإفساد ماض إلى يوم القيامة، مما يستدعي التحذير والتقريع، من أن يقع مسلم ما في عداد المفسدين في الأرض يبغونها عوجًا من حيث يشعر أو لا يشعر، وأيّاً كان هذا المسلم صغيراً أو كبيراً وضيعًا أو غطريفًا، فالجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات، وإن فتح مسلم ما باب الإفساد، أو تخليه عن الإصلاح لما أفسد، ليؤكد التبعية عليه، وأن الدين قد يُؤتَى من قبله، يحمل وزرَه ووزر من تبعه، ولقد تمثل ذلك جليّاً، في دعوات النبي ﷺ إلى الناس كافة، وكان التأكيد أقوى، في مخاطبته لزعماء القبائل وملوك الناس، لأن من كان ذا مسئولية ورعاية عظميين، كانت التبعةُ له أعظم، ومن هذا المنطلق، كتب النبي ﷺ كتابًا قال فيه: **«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنَّ عليك إثم الأريسين»** رواه البخاري.

والمعنى عباد الله: أن عليه إثمَ الضعفاء والأتباع في مملكته، إذا لم يُسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر، بل لقد تعدَّى الأمر إلى أبعد من ذلك، حتى إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وأهلُ العلم والذكر، الذين أمروا باستكمال مادة الاجتهاد، الموصلة إلى تقرير المسائل تقريراً شرعيّاً، يوافق الكتاب والسنة، مع الحذر الواعي من أن يكونوا ممن افتتن بالحضارات العالمية، وراجت عندهم شبهةُ تحديث الإسلام ومسايرة الركب التي بها يكون العالمُ غير مأمون العواقب، فيتحولُ من حيث يدري أو لا يدري إلى تسويغ ما لا يستساغ شَرعًا، مما هو معجب به أو معجبٌ به غيرُه،

فيُفتي حين يستفتى، وعينه على من يفتيهم يريد أن يرضيهم، وأن يظفر بتقدير وتقريظ من قلائص الإفرنج وأذنابهم فيجور على الحق إرضاء للخلق، ويَذْهَلُ عما عند الله تعجلاً لما عند الناس، ويغيب عن وعيه حديثُ جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه»** رواه أبو داود .

ولقد صدق الله ﴿**فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٨١]، ولا غرو عباد الله فالعالم إنما هو موقع عن الله حكْمَه ، ولأجل هذا سمى ابن القيم رحمه الله أحد كتبه: أعلام الموقعين عن رب العالمين .

عباد الله:

إن كثيراً من المسلمين ، يدورون فيما يعملون حول أنفسهم، فيما يحقق مصالحهم ومنافعهم الخاصة، دون اكتراث بما يرضي الله وما يسخطه، وإن المعاصي المنبثقة من الشهوة على قبحها وسوء مغبتها، إلا أنها أدنى خطورةً وعقوبة من معصية الشبهة التي تقود إلى التغيير في الدين أو التشكيك فيه، أو السعي الدؤوب، في بث ما من شأنه إفساد المسلمين، أو بذر الفرقة بينهم .

أو التطلعُ إلى إرساء قواعد التراجع عن الدين، والتي يسعى إليها غماليج إمَّعون من مرضى القلوبَ المقلدة، لا يُعرف لهم قدمٌ ثابتة مستقرة، ينصرون بها الدين، ويرفعون بها ما خالفه، سيرةُ بعضهم في العمل، تابعةٌ لتربيتهم في محاضن الكفر، وكنف الإلحاد، أو في بيوتهم وحال عُشرائهم من لُداتهم ورفاقهم وجيرانهم ، ممن غُسلت أدمغتهُم في دهاليز الكَفر ، ممن عناهم المصطفى ﷺ بقوله: **«تجدون الناس معادن خيارُهم في الجاهلية**

خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدَّهم له كراهة وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» رواه الشيخان .

فترونهم عباد الله يجمعون بين الضلال والإسلام، بين حب ما عليه الغربُ الكافر، وبين الانتساب إلى الإسلام، بل منهم من يصلي ويصوم؛ لأنه تربى على ذلك، ولكن دفعه إليه كونُه منهومَ المال أو مفتونَ الجاه، أو رائمًا شهوات مشبوهةً، مدغمٌ بعضها في بعض، مغلوبٌ في لزوم انتمائه للدين، لكنه إذًا تجرع آدابه لم يكد يُسيغها إلا متهوعًا .

ولا جرم عباد الله ، فالمرء مع من يخاللُ ويعاشر، والشيء من معدنه لا يستغرب ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا** ﴾ [الأعراف: ٥٨]، وتلك العصا من تلكم العُصية، ولا تلد الحيةُ إلا حويَّة؛ فمن هؤلاء وأمثالهم ينبغي الحذرُ والتوقي، وألا نغترَّ بكونهم من بني جلدة المسلمين، ويتكلمون بلغتهم، فلقد جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير قال: « **نعم وفيه دخن**»، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر قال: «**نعم ؛دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها** »، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا قال: «**نعم؛ قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ...**»الحديث، وفي لفظ لمسلم أيضًا: «**وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**».

ولقد صدق الله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١، ٤٢].

وللمستفهمٍ أن يقول: كيف يكون بعض المسلمين دعاةً على أبواب جهنم؟

فالجواب: هو أنهم كذلك ببثهم الفساد والانحراف، وإشاعة الفاحشة، وما يثير الغرائز الكامنة، في مثل صور فاتنة، أو مقالات تخدش الحياء وتبرز القحة، من خلال الصحافة مثلاً، أو في مجال التعليم، بزرع المبادئ الهدامة بين الطلاب من خلال كوادرَ غير أمينة أو من خلال منظري التطوير التعليمي في سائر البقاع، فيما يقدِّمونه من الحدِّ والتقليص لما يقوِّي صبغة الله في نفوس الطلاب ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

أو التقليل من شأن العلوم الدينية في مقابل الحرص الدؤوب على تكثيف ما عداها من علوم مادية أو رياضية، لا يحتاج إلى معظمها الذكي، ولا يستفيد منها البليد، أو في مجال أجهزة الرائي المنتشرة، مقمرة كانت أو مشفرة، من التفنن في نشر الانحراف ما بين حب وهوى، وفنون ومجون أو هدم لأساسات شرعية قررها الإسلام، كمحاربته تعدد الزوجات وتشويه صورته، أو التحضيضِ على أن يلاقي الخطيب مخطوبته في خلوة محرمة، أو التعويد على إلفة الاختلاط بين الجنسين. ومن ثم هذا سارق يعلمون الناس كيف يتخلص من عقوبة السرقة، وهذه زوجة خائنة يصورون فكاكها من غيرة زوجها بالتضليلِ عليه، وتلك زانية تشجِّع على الزنا بإشاعة طرق الإجهاض أو التخلص من الثيوبة.

كل هذه الصور عباد الله: إنما هي مشاهد متكررة، تُبث على مدار اليوم

والليلة، ولا يخلو منها قطر ولا يكاد ، فكم من مشهد يبث على الملايين من المسلمين في كافة الأقطار يشاهدونه بمرة واحدة، فإذا استقر في وعيهم وطافت به الخواطر والأفكار، سلبهم القرار والوقار، فمثلوه ملايين المرات، بملايين الطرق، في ملايين الحوادث.

فلا تعجبوا حينئذ عباد الله : إذا لم تجدوا إلا واضعًا كف حائر على ذقن أو قارعًا سن نادم ومن ثم تستمرئها النفوس الضعيفة رويدًا رويدًا، إلى أن تلغ في حمئها وهي لا تشعر، فإذا ألفتهاالنفس، لم تكدْ تتحولُ عنه إلا في صعوبة بالغة، بعد لأيٍ وشدائد، لكنها في الوقت نفسه تفقد خصائصها التي تميزها، ثم تموع وتذوب، وبعد ذلك فما لجرح بميت إيلام، وإذا لم يغبِّر حائط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار، حتى تقع في أتون الفتن فتحترق بلا لهب.

والأمة المسلمة يجب أن تكون متبوعة لا تابعة، وقائدة لا منقادة، فالترك للتبعية هو النجاة منها، لم يُر أنها لنا منها عنها، ومستقبل المسلمين يجب أن يصنع في بلادهم وعلى أرضهم وداخل سياج الدين والشريعة، وعليهم جميعًا أن يكفوا عن أخلاق التسول بكل صنوفه، سياسةً واقتصادًا وأخلاقًا ومقدرات.

ويجب ألا نغتر بما نراه، من زخرف الحياة الدنيا وزينتها في أمة قد تقطعت روابطها وانفصمت عراها ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وقد قلت ما قلت إن صواباً فمن الله وإن خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وآله الأتقياء البررة وعلى من تبع طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ثم اعلموا أنه من المتحتم علينا أن يُشار إلى نوع القضية التي يراد علاجها، وهي أن المسلمين بجميع قُواهم، دينيةً كانت أو اجتماعيةً أو ما شاكلها، في مأزق حرج، وهناك قوى آخذةٌ بدفعه من على جرف هار إلى الهوة السحيقة، وهناك قوى أصيلة أولية، آخذة بتمكينه في الأرض من جهة، وبرد العادية عنه من جهة أخرى.

وهذه العادية كان ينظر إليها من قبل أزمان قريبة أنها آتية من أجنبي عن المسلمين، ولكن الذي ظهر أنها نشأت في بيوتات المسلمين وعقر دارهم. والحكمةُ عباد الله ضالةُ المؤمن وهي تحتم علينا جميعًا أن نزداد عبرةً وتبصرة بالحال، فكما أن المريض، الذي يتثاقل عن الأخذ بأسباب علاجه يسبب لدائه تمكينًا، فكذلك السكوت والصمت والتهاون، من قبل من له حق التبيين والتوضيح، من ولاة أمر وعلماء ودعاة، بل إن سكوتَ من له حق، وحراكَ من لا حق له، بل إن التحمس للباطل والتراخي في الحق، لهو موجِب لاستشراء الداء، وسيحل بكثير من الأقوام الندمُ ولات ساعة مندم.

ثم ليعلم الضعفاءُ والمغفلون من أمتنا، الذين يحاولون في تبيعتهم وإعجابهم بما عند الأجنبي، أن يؤلفوا الأمة على خلق جديد ينتزعونه ممن أعجبوا بحضارتهم، ألا فليعلموا أن الخُلق الطارئ لا يرسخ، بمقدار ما يُفسد من الأخلاق الراسخة، وإذا كان البعضُ يشعر في قرارة نفسه أنه لا بد للأمة في نهضتها من أن تتغير، فإن رجوعنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ أعظمُ ما يصلح لنا من التغير، وما نصلح به منه ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾ [الرعد: ١١]

وإذا تقاصر المرءُ عن إبانة الحق، فلا أقلَّ من الاجتناب لكلمة الباطل، كما أن المرء المسلم إذا لم يستطع أن يكون مصلحًا فلا أقلَّ من أن يصون نفسه عن أن يكونِ معولَ هدمٍ أو ابن دهليز لكل لاقط.

فليتق المرء ربه، ولينظر قبل الإحداث في أي مزلة يضع قدمه، وهو لا يدري ما الذي يوضع له في ميزان سيئاته مما ليس في حسابه ولا شعر أنه عمله، فنقول له ولأمثاله: رويدكم مهلاً وعلى رسلكم، إنها الهاوية وما أدراكم ماهيه نار حامية، ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف: ٥٦].

اللهم صل على محمد .....

* * *

السعادة المنشودة

الخطبة الأولى

الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، هو الأول والآخر والظاهر والباطن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، لا إله إلا هو يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه واعبدوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون، افعلوا الخير واسجدوا لربكم واركعوا مع الراكعين.

أيها المسلمون:

لا يُعرف مفقود ، تواطأ الناس على البحث عنه ، والإعياء في طلابه ، وهم مع ذلك يسيرون في غير مساره ، ويلتمسونه في غير مظانه ، مثلُ السعادة والطمأنينة والبال الرخي ، فلله ما أقلّ عارفيها ، وما أقلّ في أولئك العارفين من يقدِّرُها ويغالي بها ويعيش لها .

بل لو غُلغل النظر في بعض عارفيها ، لما وُجد إلا حقّ قليل ، يكتنفه باطل كثيف ، حقّ يُعرف في خفوت ، كأنه نجمة توشك أن تنطفئ في أعماء الليل ، وما أكثر العواصف التي تهُبُّ علينا وتملأ آفاقنا بالغيوم المرعدة ، وكم يُواجَهُ المرءُ منا بما يكره ، ويُحرمُ ما يشتهي ، وهنا يجيء دور السعادة التي تطارد الجزع ، والرضا الذي ينفي السخط .

السعادة التي تسير مع الإنسان حيث استقلت ركائبه ، وتنزل إن ينزل وتدفن في قبره ، السعادة التي يعبّر عنها شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله في أوج إحساسه بها : «ما يفعل بي أعدائي إن سجني خلوة ، وإن قتلي شهادة ، وإن تشريدي سياحة في سبيل الله » .

إن الحديث عن السعادة والشقاء ، سيظل باقيًا ما دام في الدنيا حياة وأحياء ، وإن كل إنسان على هذه البسيطة ليبحث عنها جاهدًا ، ويودّ الوصول إليها والحصول عليها ولو كلفه ذلك كل ما يملك ، ألا وإن جمعًا من الواهمين يهرفون بأن السعادة لا حقيقة لها ، وأنها خيال يبتدعه الوهم ويكذبه الواقع .

والحق عباد الله ، أن هؤلاء جاهلون أو مخادعون ؛ لأنه لا يعقل ألبتة أن يخلقنا اللهُ ثم يريد لنا أن نشقى جميعًا ، كيف ذلك ، والله يقول لنبيه ﷺ : ﴿ طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١ ، ٢] ، ويقول : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي

هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣].

السعادة عباد الله هي جنة الأحلام، التي ينشدها كل البشر، من المثقف المتعلم في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامي في قاع سذاجته وبساطته، ومن السلطان في قصره المشيد، إلى الصعلوك في كوخه الصغير يعيش على تراب الإملاق، ولا نحسب أحدًا منهم يبحث عمدًا عن الشقاء لنفسه أو يرضى بتعاستها.

أيها المسلمون:

إن العبد بغير إيمان مخلوق ضعيف، وإن من ضعفه أنه إذا أصابه شر جزعَ، وإذا أصابه خير منع، وهو في كلتا الحالين قلق هلع ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

إن فقدان السعادة من قلب المرء، يعني بداهة، حلول القلق والاضطراب النفسي في شخصه، فتجتمع عليه السباع الأربعة، التي تهدّ البدن وتوهنه، فضلاً عن كونها تحلق سعادته وتقصر اطمئنانه، ألا وهي الهم والحزن والأرق والسهر.

ولا أشدّ عباد الله، من وقوع الهم في حياة العبد، إذ هو جند من جنود الله عز وجل سلطه على من يشاء من عباده ممن كان ضعيف الصلة بالله، خويَّ الروح، مرتعًا للمعاصي والذنوب ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٧].

ولقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: من أشدُّ جند الله؟ قال: «الجبال، والجبال يقطعها الحديد؛ فالحديد أقوى، والنار تذيب الحديد؛ فالنار أقوى، والماء يطفئ النار؛ فالماء أقوى، والسحاب يحمل

الماء؛ فالسحاب أقوى، والريح تعبث بالسحاب؛ فالريح أقوى، والإنسان يتكفأ الريح بيده وثوبه فالإنسان أقوى، والنوم يغلب الإنسان؛ فالنوم أقوى، والهم يغلب النوم؛ فأقوى جند الله هو الهم يسلطه الله على من يشاء من عباده».

فالمفهوم إذًا عباد الله أن السعادة والطمأنينة عطاءٌ من الله ورحمة، كما أن الهم والقلق والضيق غضبٌ من الله ومحنة، فقد يلتقي الملتقيان يتواجهان النفس بالنفس، وبينهما من الفوارق كما بين السماء والأرض، بل وفي أحلك الظروف، وحين تدلهم الخطوب يظهر البون شاسعًا بين موفق سعيد يُغبط، وبين هلع جزع يتعوذ بالله من حاله، ولقد ذكر الله مثل هذا في كتابه الحكيم عن غزوة أحد حينما ألقى النوم والنعاس على المؤمنين، في حين إن القتال قائم بعد سويعات ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]، والنعاس في هذه الحال دليل على الأمن والأمان، لمن كانوا جازمين بأن الله سينصر رسوله، وينجزُ له مأموله، ولهذا قال عن الطائفة الأخرى: ﴿**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ أي من القلق والجزع والخوف، وهذا شأن أهل الريب والشك، يعيشون بين (لو) المتندمة و(ليت) المتحسرة.

عباد الله:

إن السعادة عبارة يتوهم معظم الناس في تفسيرها ولا يتفقون عليها، يجلبون بخيلهم ورجلهم على ما يتوهمونه، ثم يعودون بخفي حنين وكأنهم خَرِف يكلم الأشباح، أو يطعن في الرياح، فصاروا كطالب اللؤلؤ في الفَلاه، مجهود البدن كسير النفس خائب الرجاء. فظن الغني منهم أن سعادته كامنة في صحته وعمارة قصره، وتوهمها الفقير في الثروة والملبس

الحسن، وأكد السياسي أنها في تحقق الأهداف، والمهارة في جعل الجور عدلاً والقوة شراً، وجزم العاشق على أنها في الوصال والتيم بمعشوقه، وعند فلان كذا وعند علان هي ذا . . .

ولكن المنصفَ المُلهمَ عباد الله حينما يبرق بعيني بصيرته ليعلمُ يقينًا سخف التخمين وسُحقَ الهوة التي يقع فيها أصحاب الأوهام المعلولة؛ فإذا بالغني يرى أن قصره المشيد قد شاطرَه السعادةَ الموهومة فيه، خدمُه وحشمه بل وكلبُ حراسته وفيلُه، فتأكد له جيدًا، أن السعادة لا تتمثل في بناء الدور وتشييد القصور، وإذا بالفقير المرهق، ينظر إلى أصحاب الثروة واللباس الفاخر ملتاثين بطيف سعادة، إنما هي رجع ضوء منعكس على سحابة عما قريب ستنقشع؛ فيقول في قرارة نفسه: هذا القطن الذي يلبسونه، كان في الغابة على الأشجار، والحريرُ الذي يباهون به في بطن دودة تعيش في الأوكار، أما الحليُّ الذي يلبسونه فقد كان وسط أحجار ينقلها بغل أو حمار، فيتيقن حينئذ أن السعادة الحقة، قد تمثلت في مثل شخص الفاروق رضي الله عنه في حينٍ إن البردة تكسوه مرقعة، والزيت أدم له والكوخ مأواه، ومع ذلك يهتز كسرى على كرسيه فرقًا من خوفه وملوك الروم تخشاه.

فالسعادة إذًا يارعاكم الله، ليست في وفرة المال ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا حسن السياسة، السعادة أمر لا يقاس بالكم ولا يشترى بالدنانير، لا يملك بشر أن يعطيها، كما أنه لا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها.

السعادة دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على تحمل المشاق والمتاعب، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، والسعيد من آثر الباقي على الفاني ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، **﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** [الحج: ٣٢].

السعادة أيها المسلمون هي الرضا بالله والقناعة بالمقسوم والثقةُ بالله واستمداد المعونة منه، ومن ذاق طعم الإيمان ذاق طعم السعادة، قال رسول الله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً**» رواه مسلم.

ولذا فإن من أضاع نعمة الرضا، أصابه سعار الحرص والجشع؛ فهو يطمع ولا يقنع ويجمع ولا يدفع، يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب الهيم، ولقد صدق رسول الله ﷺ؛ حيث يقول: «**من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله**» رواه الترمذي.

ولقد كتب الفاروق إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما يقول له: «أما بعد، فإن الخير كله في الرضى، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر».

إذًا يا عبد الله، لا تخش غمّاً ولا تشك همّاً، ولا يصبك قلق ما دام أمرك متعلقًا بقول الله جل وعلا في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه**» رواه البخاري ومسلم.

بهذا الحديث وأمثاله بدت السعادة في وجوه السعداء، والتي يعبر عنها من أحسّ بنشوتها من أئمة الإسلام فيقول: «إننا نحس بسعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بحدّ سيوفهم».

السعادة التي يمثلها من يغدو في خمائلها ويقول: «إنه لتمر علي ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذًا في عيش طيب».

إن أمثال هؤلاء هم الذين ابتسموا للحياة حينما كشرت عن أنيابها، واستقبلوا الآلام بالرضى والتسليم، اللذين يحولانها إلى نعمة تستحق الشكر والحمد، على حين إنها عند غيرهم مصائبُ تستوجب الصراخ والعويل.

فإذا كانت السعادة شجرةً منبتها النفس البشرية فإن الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، هو ماؤها وغذاؤها وهواؤها وضياؤها ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن العلم الذي يُبصر ويهدي، والهمةَ التي تحفز وتُرقّي، إنما هما في الحقيقة مفتاحا مراتب السعادة والفلاح، وإنما تفوت هذه المراتب العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما، فإما ألا يكونَ له علم بها، فلا يتحركُ في طلبها، أو يكونَ عالمًا بها ولا تنهض همته إليها ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ألا فاعلموا عباد الله أن لفقدان السعادة أبوابًا ينبغي إحكام إغلاقها وكشف عوراتها، فمن ذلك الغناء مزمار الشيطان، ورقيةُ الزنا، الذي ينبت النفاق والقلق كما ينبت الماء الكلأ، يقول الله فيه: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [لقمان: ٦] ولقد أقسم ابن مسعود رضي الله عنه ثلاثًا على أنه الغناء.

كما أن من مهلكات السعادة، جعل البيت المسلم محلاً لمردَة الجنّ وبعد الملائكة، وذلك بنشر الصور التي حرمها الشارع على جدرانه وفي فنائه، ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة**» فما بال

الكثيرين يغلقون أبوابهم في وجوه الملائكة ويستدعون أسباب الشقاء والقلق ثم هم ينشدون السعادة بعد ذلك.

وبعد عباد الله فإن من أبواب الشقاء: الذنوبَ والمعاصي التي قال عنها المصطفى ﷺ: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» رواه أحمد. وقد قال الإمام أحمد رحمه الله في مسنده: «وجد في خزائن بني أمية حنطة، الحبةُ بقدر نواة التمر وهي في صرة مكتوب عليها: هذا كان ينبت في زمن العدل».

ولذا عباد الله، فإن سعادة القلب، المثمرةَ بركةَ الرزق منوطةٌ بالطاعة والتقوى، ولقد جاء عند مسلم في صحيحه في وصف المهدي المنتظر الحديث وفيه: «**ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله، وتُخرج الأرضُ بركتها وتعود كما كانت، حتى إن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفِها - أي قشرها - ويكون العنقود من العنب حمل بعير..**» الحديث.

ومن أسباب القلق أيها المسلمون التهاونُ بشأن الصلاة أو التقليلُ منها، ورسول الله ﷺ يقول: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» رواه أحمد والنسائي.

«وكان ﷺ إذا حزبه أمر واشتد عليه لجأ إلى الصلاة» رواه أحمد وأبو داود.

ثم إن ترك الذكر والدعاء والاستغفار، مُحلّ للشقاء والهم والحزن، ولذا كان لزامًا على من ينشد السعادة ألا يُغفلَ هذا الأمر المهم، بل عليه أن يمسك بزمامه، ويَعضَّ عليه بالنواجذ، وليستحضر قول النبي ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**» رواه أبو داود والنسائي.

«ولقد دخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة فقال: «**يا أبا أمامة، مالي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟**» قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله. قال: «**أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**». قال أبو أمامة: ففعلت ذلك، فأذهب الله همي وقضى عني ديني» رواه أبو داود.

اللهم صل على محمد .....

* * *

وألّوِ استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقًا

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحًا لذكره، وسببًا للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، أمْرهُ قضاءٌ وحكمة، ورضاهُ أمانٌ ورحمة، يقضي بعلمه، ويعفو بحلمه، نحمدك اللهم على ما تأخذُ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبتلي، الحمد لك يارب؛ إذ لم تصبحْ بنا ميتين ولا سقماء ولا مضروبين على عروقنا بسوء، ولا مقطوعًا دابرنا، ولا مرتدين عن ديننا، ولا منكرين لربنا، ولا مستوحشين من إيماننا، ولا معذَّبين بعذاب الأمم من قبلنا، أصبحنا عبيدًا مملوكين لك، لك الحجةُ علينا، ولا حجة لنا عليك، لا نقدر أن نأخذ إلا ما أعطيتنا ولا أن نتقي إلا ما وقيتنا.

نحمدك اللهم على آلائك، كما نحمدك على بلائك، شرنا إليك صاعد، وخيرُك إلينا نازل، نستعين بك يا الله، على هذه النفوس البطَاء عما أمرتْ به، السراعِ إلى ما نُهيتْ عنه، ونستغفرك اللهم مما أحاط به علمُك، وأحصيته في كتابك، علمٌ غيرُ قاصر، وكتابٌ غيرُ مغادر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبدهُ ورسوله، شهادتين تُصعدانِ القول، وترفعان العمل، لا يخفّ ميزانٌ توضعان فيه،

ولا يرْجحُ ميزان ترْفعان عنه، صلوات ربي وسلامه على مصطفاه، وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى من سار على طريقهم واقتفى أثرهم إلى يوم المعاد، نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا، وأمددنا بأموال وبنين واجعل لنا جنات واجعل لنا أنهارًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلِّغ، ومعادٌ منجح، دعا إليها أسمعُ داع، ووعاها أفقهُ واعٍ، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

عباد الله:

إن تقوى الله سبحانه، حمت أولياءَ الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، استقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذَّبوا الأملَ فلاحظوا الأجل، ثم إن الدنيا دارُ فناء وعناء، وإن ملكَ الموت لموتر قوسَه لا تخطئُ سهامُه ولا تُواسى جراحه، فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يُرجى من رجعة الرزق، فإن الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي.

وإن من العناء عباد الله، أن يجمع المرءُ ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثم يخرج إلى الله لا مالاً حمل ولا بناءً نقل. فسبحان الله، ما أغرَّ سرورَ الدنيا، وأظمأ ريَّها، وأضحى فيئَها، فلا جاءٍ يُرد ولا ماضٍ يرتد.

أيها الناس:

إنه ليس شيء بشَرّ من الشر إلا عقابُه، وليس شيء بخير من الخير إلا

ثوابُه، واعلموا يرعاكم الله أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح، وكم من مزيد خاسر، ألا وإن الذي أمرتم به، أوسع من الذي نهيتم عنه، وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم، فذروا ما قلّ لما كثر، وما ضاق لما اتسع.

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً.

أيها الناس:

إن خير ما ألقي في الضمائر يقينٌ بالله يرسخ في القلوب الرواسي، وإيمان صادق، بكفاية الله لعباده، يدفعهم إلى تقديم مرضاة ربهم على رضاء خلقه وعبيده، وعلى النقيض من ذلك، فئام ضعف فيهم اليقين بالله، فأرضوا الناس بسخط الله، وجاملوهم في معاصي الله وتعلقوا بهم، واشتغلوا عن ربهم رغبةً منهم في نوال حطام الدنيا، أو خوفًا من سطوة ساط أو بغي باغٍ، فحذار حذار من مثل صَنيع هؤلاء حذار. قال ابن مسعود رضيً الله عنه: «إن الرجلَ ليخرَج من بيته ومعه دينُه فيلقَى الرجل وله إليه حاجة، فيقول له: أنت كيت وكيت ـ يثني عليه ـ لعله أن يقضي من حاجته شيئًا، فيسخطُ الله عليه، فيرجعُ وما معه من دينه شيء».

قال حكيم بنُ حزام: «بايعنا رسولُ الله ﷺ على أن لا نسأل الناس شيئًا» رواه مسلم. حتى إن الرجل من الصحابة ليسقطُ سوطه من على راحلته فينزل فيأخذُه لا يسألُ أحدًا أن يناوله إياه.

عباد الله:

في أعقاب الزمن تنتكس الفطر، وتُدرس المعالم الشرعية، كما يُدرس وشي الثوب إلا ما شاء الله، وإنه ما من زمان يأتي إلا والذي بعده شر منه

حتى تلقوا ربكم، وإنكم ستعرفون من الناس وتنكرون حتى يأتي على الناس زمن ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، حتى أصبح الكتابُ والسنةُ في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم فاجتمع أقوام على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتابُ إمامهم.

ألا فاعلموا عباد الله، أن من استنصح الله وفِّق، ومن اتخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم، وإنه لا ينبغي لمن عَرَف عظمة الله أن يتعاظم، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمتُه أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرتُه أن يستسلموا له، فلا تنفروا من الحق عباد الله، نفار الصحيح من الأجرب، والبارئ من ذي السُقَم، فالتمسوا الرشد - رعاكم الله - من عند أهله، فإنهم عيش العلم وموت الجهل، لا يخالفون الدين، ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد وصادق، وصامت ناطق ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنانستغفرك إنك كنت غفارًا فأرسل السماء علينا مدرارًا.

أيها المسلمون:

إن الله سبحانه، يبتلي عباده عند الأعمال السيئة، بنقص الثمرات، وحبس البركات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببًا لدرور الرزق، ورحمة الخلق فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، قرأها الفاروق رضي الله عنه من على المنبر يستسقي ثم قال: «لقد

طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يُستنزلُ بها المطر».

فما لبعض الناس لا يرجون لله وقارًا وقد خلقهم أطوارًا، فرحم الله امرأ استعجل توبته، واستقل خطيئته، وبادر منيته.

روى البيهقي وابن ماجه، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنت عاشر عشرة رهط، من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل علينا بوجهه فقال: **«يا معشر المَهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهُن؛ ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مَضَوْا، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم، إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم يعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلاجعل الله بأسهم بينهم»** .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم» .

وقال مجاهد رحمه الله : «إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنةُ وأمسك المطر، تقول هذا بشؤم معصية ابن آدم» .

ألا فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الأرض التي تحملكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم، فلا تمسكان بخلاً عليكم ولا رجاء ما عندكم، ولا تجودان توجعًا لكم ولا زلفى لديكم، ولكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا، وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصلت: ١١].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعدُ عمله من السماء ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]».

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا فأرسل السماء علينا مدرارًا وأمددنا بأموال وبنين واجعل لنا جنات واجعل لنا أنهارًا.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إنا خرجنا إليك من تحت البيوت والدور، وبعد انقطاع البهائم وجدب المراعي، راغبين في رحمتك، وراجين فضل نعمتك، اللهم قد انصاعت جبالنا، واغبرت أرضنا، اللهم فارحم أنين الآنة، وحنين الحانة، اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، اللهم إنا خرجنا إليك، حين اعتكرت على إخواننا مواقعُ القطر، وأخلفتهم مخائل الجود، فكنت الرجاء للمبتئس والمجيب للملتمس.

اللهم انشر علينا وعليهم رحمتك بالسحاب، سحًّا وابلاً، غدقًا مغيثًا، هنيئًا مريئًا مريعًا مجللاً نافعًا غير ضار، اللهم لتحيي به ما قد مات، وتردَّ به ما قد فات، وتُنْعشَ بها الضعيفَ من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك، اللهم سقيا هنيئةً، تروي بها القيعان، وتسيلُ البطان وتستورقُ الأشجار، وتَرْخُص الأسعار، اللهم إنا نسألك ألا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين...

ألا فاعلموا عباد الله أنه يسن في مثل هذا الموطن أن تقلبوا أرديتكم اقتداءً

بفعل نبيكم ﷺ فقد حول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو، ثم حول رداءه تفاؤلاً بتحويل الحال عما هي عليه من الشدة إلى الرخاء ونزول الغيث، وادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة، وصلوا وسلموا على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين . نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله .

* * *

الهدية حكم وأحكام

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم العليم، يضع البركة في القليل الضئيل، فإذا هو كالبحر الواسع، أو الفيض العميم، ويمحق بقدرته الكثير الدخيل فإذا هو كالهباء المنثور أو الهشيم تذروه الرياح ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: ٢٦١] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليُّ الصالحين ومزكي قلوب المتقين، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أخلص إلى ربه قصده وأوقف على رضاه جهده، بلا رياء ولا سمعة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الحائزين شرف الصحبة، وعلو الرُّتبة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ إذ لا خير فينا إن لم

نقلها، ولا خير فيمن سمعها ولم يعمل بها، فتقوى الله سبحانه طريق الفلاح وسلم النجاح وعنوان الصلاح. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

أيها الناس:

لا يشك غرٌّ لبيب، طافت بخلده أطيافُ الأمجاد وذكريات المعالي، في أن كثيراً من النفوس المسلمة في أعقاب الزمن قد تهاوت عراها وئيداً، وانجزرت أواصر المحبة والألفة فيها انجزار البحار عن شطآنها، فأصبحت لا مطمع عندها في الإبحار ولا رجاء في الاصطياد، وعند ذلك تتجدد الحوادث، وتترادف الهموم المتلونة، فتخبو معالمُ الإيثار الواضحة، ويُمسي ما كان بارزاً جليّاً من معالي الأمور في الأنفس مغموراً لا يكاد يبين، وإن إحساسَ المرء بنفسه دون سواه، إذا زاد عن حده الجبلي، فإنه يحجُبه عن الإحساس بالآخرين من بني دينه، ويحصرُه في نطاق ضيق، لا يرى فيه إلا صورة نفسه، فيكبر شأنه ويهوِّنُ غيره، في غشاوة سميكة نسجها الغرور والشراهة، بل والاستئسار لكلمة «أنا» فيكون من شر الناس عند الله، الذين لا يرجى خيرهم ولا يؤمن شرهم.

ولأجل ذا عباد الله، كان المسلمون بعامة في حاجة ماسة إلى جمع الشمل، ولم الشعث، وإدارة كل دولاب وجابية، لتصبَّ المساقي، وينهلَ الناسُ مع بعضهم صفواً، وإن من أعظم ما يحقق ذلك عباد الله، وأجلِّ ما يبعث الوئام في النفوس، وما يُسترضى به الغضبان، ويُستعطفُ السلطان، ويَسُلُّ السخائم ويدفع المغارم، ويستميل المحبوب، ويُتقى به المحذورُ بعد الله، الهديةَ الهديةَ، الهدية التي تزيل غوائل الصدور وتُذهب الشحناء من نفوس الناس، فالهدية حلوة، وهي كالسِّحْر تختلب القلوب، وتولِّد فيها الوصالَ

وتزرعها وداً، ناهيكم عن كونها مكساةً للمهابة والجلال، وهي في أوجز عبارة، مصائد للقلوب بغير لغب، ولا غرو عباد الله في ذلك فأصل الكلمة من الهدى، والهدى بمعنى الدلالة والإرشاد، فكأنها تهدي القلب وترشده إلى طرق المودة والتآلف.

الهدية عباد الله: هي تمليك عين للغير على غير عوض، فإن كانت لطلب الأجر المحض من الله غلب عليها اسم الصدقة، وإن كانت لغير ذلك مما ذكر آنفًا غلب عليها اسم الهدية أو الهبة، أو العطية والمنحة. وما أشبه ذلك، وهي مشروعة بين المسلمين عملاً بقول النبي ﷺ: «**تهادوا تحابوا**» أخرجه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي بسند حسن، وفي رواية للترمذي: «**تهادُوا فإن الهدية تُذهب وغر الصدر**».

والتهادي بين النبي ﷺ وأصحابه أمر معروف مشهور ثابت بالسنة الصحيحة الصريحة، كما أن النبي ﷺ رغب في قبولها والإثابة عليها، وكره ردها لغير مانع شرعي، مهما كانت قليلةً أو محتقرة، فلقد قال ﷺ: «**ولو أهدي إلي ذراعٌ أو كُراع لقبلت**» رواه البخاري وللطبراني من حديث أم حكيم الخزاعية «قلت: يا رسول الله تكره رد الظلف؟ قال: «**ما أقبحه لو أهدي إلي كُراعٌ لقبلته**».

وعند البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فِرسن شاة**» والفرسن، عُظيم قليل اللحم.

ففي هذا كله الحض على قبول الهدية ولو قلّت؛ لما في ذلك من التأليف والتآلف، ولو كانت يسيرة؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، كما أن اليسير إذا تواصل صار كثيرًا، والقليل من صاحب الود لا يقال له: قليل، فتقع المودة ويسقط التكلف.

ويزداد الأمر تأكيدًا على عدم رد الهدية، إذا كانت إحدى ثلاث أشار إليها النبي ﷺ في قوله: «**ثلاث لا ترد، الوسائد والدُّهن واللبنً**» رواه الترمذي. والدهن هو الطيب.

وحاصل الأمر عباد الله : أن العاقل الحصيف، من يستعمل مع أهل زمانه شيئًا من بعض الهدايا بما قَدر عليه لذي رحمه الأقرب فالأقرب، ولجيرانه أقربهما منه بابًا، لاستجلَاب محبتهم إياه، وإن كان عنده الشيء التافه فلا يجب أن يمتنع من بذله، لاستحقاره أو استقلاله؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع، ومن حَقَّرَ شيئًا منعه؛ بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيّان، لأن ما يورث الكثيرَ من الخصال، أورث الصغير بقدره من الفعال، وإن البشر طراً مجبولون على محبة الإحسان وكراهية الأذى، واتَخاذ المحسن إليهم خلاً وفيّاً، واتخاذ المسيء إليهم عدواً بغيضًا.

ويالله، فلطالما استعبد الإنسان إحسانٌ كريم، لا سيما إذا كان في موقف الرد على الإساءة، من غيبة أو نميمة أو نحوها، ولقد روى الحافظ ابنُ حبان البستي بسنده، أن أبا حنيفة رحمه الله لما اشتهر وعلا صيتهُ، قال فيه بعض حاسديه: كنا من الدين قبل اليوم في سعة، حتى بلينا بأَصحاب المقاييس، فبلغ ذلك أبا حنيفة، فبعث إليه بهدية جزاء مافعل، فلما قبضها القائلُ ندم، وملكت الهديةُ قلبه فكفَّر عما فعل بقوله:

إذا ما الناس يومًا قايسونا ... بآوبةٍ من الفتيا طريفة

أتيناهم بمقياس صحيحٍ ... مصيبٍ من طراز أبي حنيفة

إذا سمع الفقيه بها وعاها ... وأثبتها بحبر في صحيفة

فالله أكبر كم تزيل الهدية من السخائم، وكم تنسخ من الشتائم.

وبعد عباد الله : فإن ما مضى من الحديث عن الهدية ببيان فضلها وأثرِها وحكمها، لا يمنع كونها محل تصنيف العلماء وتقسيمهم إلى ما يجوز منها وما لاَ يجوز؛ ولأجل ذا فإنه يجدر بنا في مثل هذا المقام أن نُشير على عجالة واختصار شديدين، إلى بعض المحاذير التي تقع فيها المجتمعات، إبانَ حياتهم اليومية، اجتماعية كانت أو معيشية أو وظيفية، فيما يتعلق بالهدايا المحرَمة، التي قد يغفل عنها كثيرون، ويتغافل عنها مأفونون.

فمن ذلك عباد الله : ما ذكره شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله من أنه لا يجوز للمرء المسلم إذا شفع شفاعة أن يقبل هدية ممن شَفَع له عند ذي سلطان مما هو مستحق له، لتكون مقابل شفاعته. وهذا هو المنقول عن السلف والأئمة الكبار، بدليل قول النبي ﷺ : «**من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابًا من أبواب الربا**» رواه أبو داود وهو حديث حسن.

وذلك عباد الله أن الشفاعة الحسنة مندوب إليها، فأخذ الهدية عليها يضيِّع أجرها، كما أن الربا يمحق الحلال، ولا يدخل في هذا التحريم، من استُئجر لإنجاز معاملة ما أو ملاحقتها مقابل أجرةٍ معينة فهذا من باب الإجارة الجائزة بالشروط الشرعية.

ومن ذلك عباد الله : تحريم الهدية للقاضي إذا كانت أهديت إليه لأجل كونه قاضيًا، بدليل قول النبي ﷺ : «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**» رواه أحمد والترمذي، إلا إن كان المهدي ممن له عادةٌ بإهداء القاضي قبل أن يكون قاضيًا فلا بأس بالهدية حينئذٍ ما لم تكن حال خصومةٍ قائمة للمهدي عند ذلك القاضي.

ومن الهدايا المحرمة عباد الله : هديةُ بعض الأولاد دون بعض، لما في

ذلك من الحيف والظلم؛ حيث إن بعض الناس يعجبه برُّ بعض أولاده به دون بعض، لما يرى فيه من الخلال الحسنة والبر الوافي، فيكافئهُ على هذا بتخصيص عطية له دون غيره والله سبحانه يقول: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وعن النعمان بن بشير، أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني نحلت ابني هذا غلامًا فقال رسول الله ﷺ: **«أكلَّ ولدك نحلته مثله؟** فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: **فأرجعه»** رواه البخاري... وفي لفظ لمسلم: «**فلا تُشهدني إذن؛ فإني لا أشهد على جور**»، وفي رواية لأحمد: «**أليس يسرك أن يكونوا إليك في البر سواء**».

أما كيفية العدل بين الأولاد في العطية فهي أن يُعطى الذكرُ مثلَ حظ الأنثيين، كما قسم الله ذلك في فريضة الميراث العادلة، وهذا هو الذي عليه المحققون من الأئمة؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ويستثنى من ذلك عباد الله، فيما لو أعطى أحد أولاده عطية بمسوغ شرعي، كأن تقوم به حاجة ليست في الآخرين من دينٍ أو مرض أو نحو ذلك مما يستلزم العطية.

ومن الهدايا المحرمة، ما يتناوله الشهود في المحاكم جزاء شهادتهم ويسمونها هدية فإذا طلبوا إليها دون مقابل، حلف أحدهم أنه ناسٍ لها، وأن قلبه ذو إغفال، فإذا رأى المنقوش قال: ذكرتها، يا للمذكرٍ جئت بالآمال، وما علم أولئك أن أداء الشهادة واجب بنص الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومن ذلك عباد الله ، ما كان من الهدايا ، في مقابل التنازل عن حق الله وشرعه ، أو إقرار الباطل والرضى به ، كما ذكر الله ذلك عن ملكة سبأ في محاولتها مع سليمان عليه السلام : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٥] ، قال قتادة : ما كان أعقلها في إسلامها وشركها ؛ علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس ، وكانت قد قالت : إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل : ٣٦] . قال ذلك منكرًا عليهم : أي أتصانعونني بمال ، لأترككم على شرككم .

ومن الهدايا المحرمة عباد الله : ما يعطاه العمال الذين يعينهم وليُّ الأمر على حاجات الناس فيُعطون الهدايا لأجل المحاباه ، بحيثُ لو كانوا في بيوتهم لم ينلهم منها شيء ، فهذه حرام لا يجوز أخذها بدليل ما رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ استعمل رجلاً على صدقات بني سُليم يدعى ابنَ اللُّتبية ، فلما جاء حاسبه قال : هذا ما لكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ : «**فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتُك إن كنت صادقًا**» ، ثم خطب الناس فكان مما قال : «**والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء ، أو بقرةً لها خوار ، أو شاة تيعر**» ثم رفع يديه حتى رُئي بياضُ إبْطه يقول : «**اللهم هل بلغت**» .

جعلنا الله وإياكم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأتقياء البررة وعلى التابعين وأتباعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من الصور المحرمة في الهدايا. ما يُهدى من أشياء محرمة كآلات لهو من معازف وغيرها، وكالتماثيل والصور المحرمة، أو ما يجلِّب الشر ويمنِّع الخير، كالأقمار المستديرة وشبهها مما يجر البلاء على المسلمين، ويقضي على دينهم والصبغة التي فطروا عليها ويحلق ما تبقى من خلال حسنة.

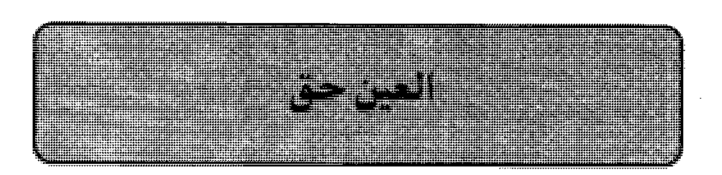
وكذا الإهداء والتهادي بمناسبة أعياد الكفار أو ما يُسمى يومَ الأم، أو ما شابَه ذلك مما هو مسترق من أهل الكفر، ومغلف بأغلفة مزيفة، كالحب والتصافي، والبر والصلة ونحوها. فهذا كله محرم؛ لأنه من باب التشبه بأهل الكفر، والنبي ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» رواه أحمد وأبو داود. وقديمًا قيل: (الطيور على أشكالها تقع).

ومن الهدايا المحرمة عباد الله، ما ابتليت به كثير من المجتمعات مما يسمى «الرشوة» والتي يتفننون في تسميتها، أو يلقبونها بألقاب تخدع السذج، وتسر الغششة، حتى لقد انتشرت انتشار النار في يابس الحطب، حتى

أفسدت كثيرًا من الذمم، وصارت سببًا لإفساد العمال على أصحاب العمل، فيجعلون الخدمة لمن يدفع جيدةً، ومن لا يدفع فلا حول له ولا قوة، فلا يجد أمامه في قضاء حوائجه إلا نفوسًا منهومة منكسة، حتى صار أسهلُها من خلقها منعًا وهات، وأحلاها هات وهات، والأصل في هذه الوظائف عباد الله أن يقوم رجالها على العدل بين الناس ليسود الأمن بين كافة أفرادهم، فالذي يقبل الرشوة أو يطلُبها من الموظفين العاملين على خدمة الجمهور، يكون قد أخلّ بالأمن، وأفسد نظام الحكم، الراشي والمرتشي مجرمان أثيمان يدفع الأول أجرًا على فساد العدل، ويأخذ الثاني أجرًا على الإخلال بالأمن، والمال الذي يأخذه المرتشي سحت ونار، لأنه يهدم شريعةً قام عليها ركن العدل بين الناس، فلا جرم عباد الله إذا دعا عليهم النبي ﷺ بقوله: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**» رواه ابن ماجه.

ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين، اللهم صل على محمد .....

* * *



الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، اتقوا ربكم وراقبوه في السر والعلن، فبتقوى الله

عـز وجل تصلح الأمـور، وتتـلاشى الشـرور، ويصلح للناس أمـر الدنيـا والآخرة.

أيها الناس:

الحسـد والتحـاسـد مجمع الآفات، ومستنقع الشرور والرذائل؛ إذ ما دخل الحسد في شيء إلا شانه، ولا نُزِعَ من شيء إلا زانه، وإن انتشار مثل هذه اللوثة المذمومـة، في أوسـاط الناس، لأمـر مـؤذنٌ بعـواقبَ وخـيـمـة، وأضـرار جسـيمـة، ولو لم يكن من ذلك إلا التبـاغضُ والتـدابر، والإحنُ والتناحرً بله الغيبة والنميمة والأشرَ والبَطَر.

وإن من سـهـام النـاس القـاتلة التي تمرق من رمـيـة الحسـد هي الإصـابة بالعين، ومـا أدراكم ما الإصابةُ بالعين؛ إنهـا نظر باستـحسـان مشـوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر، يقال: أصابت فلانًا عينٌ، إذا نظر إليه عدو أو حسود، فأثرت فيه فمرض بسببها.

بذلكم عباد الله بيَّن أهل العلم حقيقة العين، وبهـا تعلمون أن العين، إنما هي جمرة مضرمةٌ من حطب الحسد، ابتلي بها الكثيرون على حين غفلة من الأوراد الشرعية، التي هي حروزٌ أمينة، وحصـونٌ مكينة، فتناثرت جُثثٌ وهام، وتردت نفوس، وتهالكت أجسادٌ من جرائها، ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقـول: «**أكثر من يموت من أمتي بعـد قضاء الله وقدره بالعين**» رواه البخاري في تأريخه والبزار في مسنده، وهو حديث حسن.

عباد الله:

العين حق لا مماراة فيـهـا، ثابتـة بالكتـاب والسنة وبواقـع الأمم المتكررة، يقول الله جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾ [القلم: ٥١] أي يَعينونك بأبصارهم، قال

ابن كثير رحمه الله : وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل. ثم اعلموا عباد الله أن اللقْع بالعين، كان في بني إسرائيل، وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يعتان أحدًا، تجوَّع ثلاثة أيام ثم اعتانه. ولقد قال الحسن البصري رحمه الله : دواء من أصابته العين أن يقرأ هذه الآية.

ومما يدل على أن العين حق عباد الله قول الخالق جل وعلا: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾، قال قتادة: أي من شر عينه ونفسه، وقال ابن القيم رحمه الله : كل عائن حاسد، ولما كان الحاسد أعمَّ من العائن، كانت الاستعاذة منه، استعاذة من العائن، وقال ابن عطية: إن عين الحاسد في الغالب لاقفة. نعوذ بالله عز وجل من شرها. ومن لطائف هذه الآية عباد الله : أن بعض العامة يقولون للحاسد إذا نظر إليهم: الخمسُ على عينيك، ويشيرون بالأصابع الخمسة، وهذا غلط بين إذ المراد بالخمس هي آياتُ سورة الفلق إذ كلها خمس آيات.

أيها المسلمون:

لقد جاءت السنة مؤكدةً للقرآن ومفسرةً له، ولقد قال المصطفى ﷺ في ذلك: «**العين حق، ولو كان شيء سابقَ القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا**» رواه مسلم. والمعنى : إن طُلب من أحدكم أن يغتسل لمن أصابه بالعين فليجب. وقال ﷺ : «**استعيذوا بالله من العين؛ فإن العين حق**» رواه الحاكم وابن ماجه.

وقد صح عند أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال: **إن العين لتولِع**

بالرجل بإذن الله حتى يصعد حالقًا فيتردى منه» ، ومعنى يصعد حالقًا: أي يصعد مكانًا مرتفعًا.

وقال ﷺ مرةً لأسماء بنت عميس: «**مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة** - أي نحيفة - **تصيبهم الحاجة؟؟**» قالت: لا ولكنَّ العينَ تسرع إليهم. قال: «**ارْقيهم**» قالت: فعرضت عليه فقال: «**ارقيهم**» رواه مسلم.

ثم اعلموا عباد الله أن العين عينان: عين إنسية وعين جنية، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من عين الجانِّ ثم من أعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك» رواه الترمذي وابن ماجه. ثم إن المرء بذاته، قد يُعين نفسه إذا رأى منها ما يعجبه، واستقى بعض أهل العلم ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ [الكهف: ٣٩].

ولقد ذكر الفقهاء رحمهم الله، أن من عُرف بالعين، فإن الإمام يحبسه، ويجري له ما ينفق عليه إلى الموت، قال ابن القيم رحمه الله: وهذا هو الصواب قطعًا.

وما ذاك يا عباد الله، إلا لعظم هذا الأمر، وخطورته في المجتمع وإهلاك الأنفس به وهدم الأسر والبيوتات، مما يدل بالتأكيد على أن العين حق؟ فكفى الله المسلمين شرها.

أيها الناس:

في حضارتنا المعاصرة، كثر المثقفون، وشاعت المعارف الذكية، في حين إن البعض منها، مقطوع الصلة بالله وبشرعه، والإنسان مهما قوي فهو ضعيف، ومهما اتسع تعلمه فعلمه قاصر، وحاجته إلى شريعة

ربه، والوقوف بالتسليم لنصوصه أشدُّ من حاجته إلى الماء والهواء، فما أعظم نعمةَ الدين الصحيح، والعقلِ الصريح فلا دين بلا عقل؛ إذ لا تكليف حينئذ، ولا عقلَ بلا دين؛ إذ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ولقد برزت طائفة من المعْنيينَ بالطب وفنونه ممن قل نصيبهم من نصوص الشارع الحكيم، فأبطلت أمر العين، وادعت كاذبة أنها لا تعدو كونها أوهامًا، وأطيافَ خيال لا حقيقة لها، ولا غرو أيها المسلمون أن يضل أمثالُ هؤلاء، وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]

أيها المسلمون:

إن أمر العين غير خاف على كل ذي لبٍّ متجرد، وهذه حال غير مستنكرة ألبتة، وإنما المستنكرَ عباد الله أن يكون المتفاعل معها كالمستسمن غير سمن، وكالمستبعد غيرَ غرب؛ إذ ظن بعض السذج أن ليس للعين سبيل إليهم بمجرد أن يعلق تميمةً أو ودَعَةً أو نابًا، أو تعاويذَ ورقىً ملفقة، ينسجها لهم أدعياءُ الكهانة والشعوذة، يخدعون بها الرّعاع أو يدَّعون أن لهم خصوصيةً في نفع رقاهمَ وتعاويذهم لأخذهم العهود على شيوخٍ، أو أصحاب طرق أو نحو ذلك مما لا أصل لهَ في الدين؛ بل هو بدعة وضلال مبين، وقد قال رسولَ الله ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولةَ شرك**» رواه أحمد وأبو داود.

والتمائم شيء يُعلق على الأولاد من العين. وقال ﷺ: «**من تعلّق شيئًا وكل إليه**» رواه أحمد والترمذي. والتعلق يكون تارة بالقلب كالاعتقاد في قراءة الشيخ الفلاني، أو التعلق بها من دون الله وأنها شافية أو نحو ذلك،

ويكون تارة بالفعل، كمن يعلق تميمة أو خيطًا أو نحوهما، لدفع العين أو الضر، ويكون تارة بهما جميعًا ؛ أي بالقلب والفعل.

فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ إليه، وفوض أمره إلى ربه كفاه وهداه وقرب إليه كل بعيد، ويسر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله وتميمته ودوائه وكله الله إلى ضيعة، فما ظنكم عباد الله ، بمن تعلق بغير الله، بل ما ظنكم بمن وكله الله إلى نفسه أو إلى غيره من المخلوقين، أترونه ناجيًا أم هالكًا؟! ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الملك: ٢٢].

والله سبحانه هو الذي تعلق عليه الآمال ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿ **وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا** ﴾ [إبراهيم: ١٢].

إن العجب كل العجب، في أولئك المصابين بالعين، حين يستبدلون الرقى والعزائم الشركية بالرقى والعزائم الشرعية، جاهلين أو متجاهلين، خطورة هذا المسلك والهوة السحيقة التي تقذفهم إليها تبعاته. قال القرافي في فروقه عن ألفاظ الرقى: «وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، ومنها ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية والهند وغيرهم، وربما كان كفراً، ولذلك نهى مالك وغيره عن الرقى العجمية لاحتمال أن يكون فيه محرم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « نهى علماء الإسلام عن الرقى التي لا يفقه معناها ؛ لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك، فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى**

ما لم يكن فيه شرك»رواه مسلم .

كل اسم مجهول، لا يجوز لأحد أن يرقي به فضلاً عن أن يدعو به، وأما جعل الألفاظ الأعجمية أو الحروف المقطعة شعاراً للرقى، فليس من دين الإسلام، كقول أرباب الدجل في رقاهم وتعاويذهم: «كركدن دهده، شراهيا جلجلوت» وأمثالها مما هو دجل فوق دجل وخرافة فوق خرافة، مما ليس من دين الإسلام في شيء.

بيد أن كثيراً من الناس في هذا العصر، قد كبا كبوة مثيرة، وزل زلة خطيرة، فجمهورهم قد أصابهم لوثات هذه العلل، قد أسلموا عقولهم لأيادي الهدم، التي لبست قفاز التدين، واستطاعت من وراء هذا القفاز، أن تصافح كثيراً من ضعاف النفوس بسبب تخلفهم، وإبان غفلة من علمائهم وأولي الأمر منهم فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ولسان حالهم يقول: وداوني بالتي كانت هي الداءَ. فزادوهم مرضًا إلى مرضهم، واقتلعوا أطناب حياتهم الهانئة، فخرَّ عليهم سقف السعادة من فوقهم وما خُذل أمثال هؤلاء إلا حينما لجأوا إلى ذئاب الظلام، وركنوا إلى هرائهم وأهازيجهم، ناسين شرعة الله وصبغته ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٥٠].

فإذاً عباد الله يُستخلص من ذلك أن الرقى تكون مشروعة إذا تحقق فيها شروط ثلاثة: أولها: ألا يكون فيها شرك ولا معصية؛ كدعاء غير الله أو الإقسام بغير الله . وثانيها: أن تكون بالعربية وما يعرف معناه. وثالثها: ألا يعتقد كونها مؤثرةً بنفسها.

قال ابن أبي العز الحنفي: «اتفقوا على أن كل رقية وتعزيمٍ أو قسمٍ فيه شركٌ بالله فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته الجنّ أو غيرهم».

وبعد عباد الله، فإن كون العين حقّاً، أمر ثابت شرعًا وواقع عقلاً، وحينما تظهر أمامنا هذه الحقيقة جلية، فإن من الأخطاء الشائعة، والبلايا المعقدة أن يصبح المرضُ بالعين شبحًا مروعًا أو هاجسًا متدليًا إلى الذهن عند كل وخزة ألم، أو نكسة نفس، حتى يصل الأمر بذلك إلى درجة الوهم لدى الناس، فإذا ما عطس امرؤ قالوا: هذه عين، وإذا أخذته سعلة قالوا: إنها العين، وإذا ما أصيب أو ابتلي قالوا: يا لها من عين، حتى لقد أخذ الوهم من البعض أن يمشي وأمامه العين، وينام كذلك ويصبح كذلك، وهذا هو الداء العضال؛ إذ لا يزيد الوهم إلا وهنًا.

فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالرقى والأذكار الشرعية إصابات العين، وليتق الله العائن وليُذهب من قلبه الحسد إن وجد، وإلا فليطفئ نار إعجابه بالشيء بذكر الله سبحانه، وليدفعْ شرَّ عينه بقوله: (اللهم بارك عليه) كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف: «**ألا بركت**»؛ أي قلت: اللهم بارك عليه.

أعاذنا الله وإياكم بكلماته التامة من كل شيطان وهامة..، ومن كل عين لامة.. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وصحبه وإخوانه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين واعلموا أنه لا بأس على المرء، في أن يتحرز من العين، بستر محاسن من يخافُ عليه العين، بما يقيه منها، أو أن يعوِّذه منها بالتعويذ الشرعي، فلقد قال سبحانه عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]. قال ابن عباس وغيره: إنه خشي عليهم العين؛ وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه، وهذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا لا يُخالفُ ولا يُمانع؛ ولذا قال يعقوب: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين يقول: «**أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة**» ويقول: «**هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاقَ وإسماعيل عليهما السلام**» رواه البخاري وأصحاب السنن.

وبعد عباد الله : فإن العين داء عضال، ونار آكلة لم يهمل الشارعُ الحكيم جانبها ، بل بينها ووضّحها، وأبدى للناس علاجها، وإن من أعظم ما يزيل العين والسحر بأمر الله : الرقية الشرعية من الكتاب والسنة، يقول أبو محمد ابنُ حزم : «جربنا من كان يرقي الدمَّل الحاد القويَّ الظهور في أول ظهوره، فيبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يُبْسُه في اليوم الثالث، جربنا من ذلك ما لا نحصيه، وكانت امرأة ترقي أحدَ دملين قد دفعا في إنسان واحد، ولا ترقي الثاني فيبس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترْق، وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير، فيندملُ ما يُفتحُ منها، ويذبل ما لم ينفتح ويبرأ» .

والرقية عباد الله تكون بآيات القرآن؛ كالفاتحة وآية الكرسي والإخلاص والمعوذتين، وغيرها من آيات القرآن الذي أنزله الله هدىً وشفاء، وكذا بالأدعية النبوية الثابتة عن المصطفى ﷺ كتعويذه للحسن والحسين، وكرقية جبريل له بقوله : «بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفسٍ أو عينِ حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك» رواه مسلم .

ومن أدوية العين الناجعة، ما ذكرت عائشة رضي الله عنها بقولها : «كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين» رواه أبو داود، كما أن من العلاج عباد الله ، عسل النحل بشتى أنواعه لثبوت ذلك في الكتاب والسنة، وكذا ماء زمزم، فهو لما شرب له ، وهو طعام طعم وشفاء سقم كما صح الخبر بذلك عن النبي ﷺ .

اللهم صل على محمد .....

* * *



الخطبة الأولى

الحمد لله فاطر السموات والأرض، جاعل مواسم الخيرات لنا مربحًا ومغنمًا، وأوقات البركات والنفحات لنا إلى رحمته طريقًا وسلمًا، له الحمد يطاعُ فيشكرُ، ويُعصى فيغفر، لا تواري منه سماءٌ سماء ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، له الحمد كله، وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، ما خاب من رجاه، بيده ملكوت السموات والأرض، وهو يجير ولا يجار عليه، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، بعثه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى أصحابه ومن سار على طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله حقّ التقوى، والاستمساك من

الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا المعاصي فإن أقدامكم على النار لا تقوى، فاتقوا الله واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون.

حجاج بيت الله، يا من أديتم مناسككم فوقفتم بعرفات، وانحدر بكم الشوق إلى المزدلفة فسكبتم عند المشعر الحرام العبرات، فلله كم من خائف منكم أزعجه الخوف من الله وأقلقه، وراجٍ أحسن الظن بوعد الله فصدَّقه، وكم من مستوجب للنار أنقذه الله وأعتقه، وبلغ الأماني عشية عرفة.

حجاج بيت الله الحرام، ليس السابقُ اليوم من سبقت به راحلته إنما السابق من غفر له ذنبه وقبل عمله، فأخلصوا لله حجكم، واتبعوا سنة نبيكم تفلحوا، ومن قصر في جنب الله فليرجع إلى جهاد النفس، فهو الجهاد الأكبر، وحذار حذار، أن تحلقوا رؤوس أعمالكم بالذنوب؛ فإن الذنوب حالقةُ الدين، ليست حالقة الشعر ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]، فلله ما أحسن الحسنة تتبعها الحسنة، وما أقبح السيئة بعد الحسنة، فالحذر الحذر عباد الله من العمى بعد الهدى ومن الحور بعد الكور.

عباد الله:

إن الحج المتكرر في كل عام، منذ أن أذن إبراهيمُ عليه السلامُ في الناس بالحج، وهم يغدون إلى بيت الله العتيق من كل فج عميق، رجالاً وعلى كل ضامر، لهو أمر دال باللزوم على أن السفر وقطع الفيافي والقفار، أمرذو بالٍ في واقع كل امرئ حي.

وما أكثر ما يسافر الناس لشئون حياتهم، ماديةً كانت أو معنوية، ولقد سافر رسول الله ﷺ مرات ومرات، إبان شبابه قبل البعثة، وبعد نبوته ما بين حج وعمرة، وجهاد وتجارة.

والسفر غالبًا يعري الإنسان من الأقنعة التي كانت تحجب طبيعته، وما سمي السفر سفرًا إلا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، ولذا فإن السياحة في الأرض، والتأملَ في عجائب المخلوقات، مما يزيد العبد معرفةً بربه عز وجل، ويقينًا بأن لهذا الكون مدبرًا، لا رب غيرُه ولا معبود بحق سواه.

فالمسافر يتأمل ثم يتدبر ثم يخشى، كل ذلك حينما يرى عجيبَ صنع الله وعظيمَ قدرته ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، ولقد أنكر الله سبحانه على من فقد هذا الإحساس المرهف بقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥]

السفر عباد الله معترًى بحالتين اثنتين: حالة مدح وحالة ذم؛ فالخروج من الملل والسآمة والضيق والكآبة من الناس والمكان للتأمل في خلق الله، أو طلبِ علم نافع، أو صلة قريب أو أخ في الله هو سمةُ السفر الممدوح، وهو مذمومَ أيضًا، من جهة كونَه محلاً للمشاقّ والمتاعب؛ لأن القلب يكون مشوشًا والفكر مشغولاً من أجل فراق الأهل والأحباب؛ ولذا قال فيه النبي ﷺ: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامَه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله**» رواه البخاري ومسلم.

والمراد بالعذاب عباد الله: الألمُ الناشئ عن المشقة، لما يحصل في الركوب والسير من ترك المألوف. ولقد ذهب بعض أهل العلم كالخطابي وغيره، إلى أن تغريب الزاني، إنما هو من باب الأمر بتعذيبه ـ والسفر من جملة العذاب ـ ولقد سئل إمام الحرمين: لم كان السفر قطعةً من العذاب؟ فأجاب على الفور: لأن فيه فرقةَ الأحباب.

ألا فاعلموا عباد الله: أن السفر في هذه الآونة، يختلف عن السفر في

قرون مضت، فقد مهدت الطرق، وجرت عليها العرباتُ الآليةُ بشتى أنواعها المبدعة، فهي تسير بهم على الأرض إن شاءوا أو تقلُّهم الطائرات السابحةُ في الهواء إن رغبوا، أو تحملهم الفلكُ المواخرُ في البحر إن أرادوا، كما أن الأزمنة قد تقاصرت، فما كان يتم في شهور بشق الأنفس، أضحى يتم في أيام قصيرة بل ساعات قليلة، وبجهود محدودة بل وربما عطس رجل في المشرق فشمته آخرُ في المغربً، وهذا مصداق حديث النبي ﷺ من أن تقارب الزمان من علامات الساعة كما عند البخاري في صحيحه.

ومع هذه الراحة الميسرة فإن الأخطار المبثوثة هنا وهناك لم تنعدم، ففي الجو يركب المرء طائرةً يمتطي بها ثبج الهواء، معلقًا بين السماء والأرض، بين مساومة الموت ومداعبة الهلاك فوق صفيحة مائجة، قد يكون مصيره معلقًا بأمر الله في خلخلة مسمار أو إعطاب محرك، مما يؤكد الاحتماء بالله وارتقابَ لطفه المترجم بلزوم آداب السفر، والبعد عن معصية الله في هوائه بين سمائه وأرضه، والمستلزمة وجوبًا، إقصاءَ المنكرات من الطائرات، والتزامَ الملاحينَ والملاحات بالحشمة والعفاف والبعد عما يثير اللحظ أو يستدعي إرسال الطرف، وإن تعجبْ أيها المسلم، فعجب ما يفعله مشركو زمان النبي ﷺ من اللجوء إلى الله في الضراء ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وبعض عصاة زماننا سراؤهم وضراؤهم على حد سواء، فقبح الله أقوامًا؛ مشركو زمان النبي ﷺ أعلم بلا إله إلا الله منهم.

أيها المسلمون:

إن التقارب في الزمان والمكان بما هيأ الله من أسباب السرعة، لهو نعمة عظيمة ورحمة جُلَّى، تستوجبان الشكرَ للخالق والفرارَ إليه، في مقابل

التذكر، فيما فعله الله جل وعلا بقوم سبأ الذين كانوا في نعمة وغبطة، من تواصل القرى، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨]، ولكن لما بطروا نعمة الله ومالت نفوسهم إلى ضد حالهم ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾، ففرق الله شملهم بعد الاجتماع، وباعد بينهم بعد التقارب، حتى صاروا مضرب المثل؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: تفرقوا أيدي سبأ.

وبعد عباد الله:

فإن من أعظم فوائد السفر، وأكثرها تعلقًا بالله، معرفةَ عظمته وقدرته، بالنظر إلى ما ابتدعه جل وعلا، خلقًا جميلاً عجيبًا، من حيوان وموات، وساكن وذي حركات، وماذرأ فيه من مختلف الصور التي أسكنها أخاديد الأرض، وخروق فجاجها، ورواسيَ أعلامها، من أوتاد ووهاد، فصار فيها جدد بيض وحُمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن ذوات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٦] كوَّنها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة، ونسقها على اختلافها بلطيف قدرته ودقيق صنعه، فمنها مغموسٌ في قالب لون لا يشوبه غيرُ لون ما غمس فيه، ومنها مغموس في لون صبغ، قد طَوِّق بخلاف ما صُبغ به ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

فسبحان من أقام من شواهد البينات على عظمته وقدرته، ما انقادت له العقول معترفةً به ومسلمةً له، فبان لها أن فاطر النملة هو فاطر النخلة.

فالويل كل الويل لمن جحد المقدِّر وأنكر المدبِّر، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، وغاب عن عقولهم المختلة، وأذهانهم المعتلة، من عقله أكبرُ من حضارتهم بعبارات ثرة على أعرابيته وبداوته: سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذاتٌ أمواج وأثر يدل على المسير، وبعرة تدل على البعير، ألا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير. ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [الأنعام: ٩٥، ٩٦].

أيها الناس:

لربما رفع أحد منا عقيرته فقال: إن مثل هذا الحديث، داخل في توحيد الربوبية الذي لم ينازع في إثباته حتى مشركو زمان النبي ﷺ، أفيخص بالحديث؟ فالجواب: نعم، بيد أن الإشراك في توحيد الربوبية، قد داخل فئامًا من الناس في القديم وفي الحديث، ففي الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس قال: «**أتدرون ماذا قال ربكم**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

فانظروا يرعاكم الله: أليس هذا حديثًا عن توحيد الربوبية. بلى وربي، ومع ذلك حذر النبي ﷺ من الوقوع في الشرك فيه، بل لقد وقع ثلة من الناس في براثن هذا الشرك في عصرنا الحاضر قصدوا أو لم يقصدوا، فأخذوا يلجأون إلى المشعوذين والدجاجلة الأفاكين بقايا مسيلمة الكذاب

وابن صياد من مدعي علم الغيب بالكهانة والتنجيم وقراءة الأكف والفناجين والذين يوحي إليهم أولياؤهم من الشياطين ، ومسترقي السمع من السماء ، فيقرقرونها في آذانهم كقرقرة الدجاج ، فيخلطون مع ما يصدقون فيه مائة كذبة ، ومما يزيد القُرح ، ويشعل الكمد أن لَهم رواجًا في أوساط الناس ، في بقاعٍ شتى من هذه البسيطة ، وفي جانب عظيم من جوانب توحيد الربوبيةً ، ألا وهو علم الغيب ، الذي استأثر الله بعلمه فلا يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، إلا بما يوحي إليهم ربهم .

بل لقد امتد القصور في توحيد الربوبية على غرار ما جاء في حديث زيد ابن خالد الآنف الذكر ، إلى ما يطالعه العالم في حياته اليومية ، عبر الأثير المسموعً والمرئي ، في تفسير الظواهر المتكررة من زلازل وفيضانات ومنخفضات جوية ومرتفعات ورياحٍ وبراكين ، تفسيراً مادياً بحتًا مبتوت الصلة بالله ومشيئتهً ، مستقًى من فلسفات يونانية وأخرى إغريقية قررها ملاحدة ، ولاقت رجع الصدى من قبل بعض المسلمين المعجبين بما عند الغرب .

بل لقد جاوز الأمر قنطرته بمطالعات الصحافات المتكررة في أقطار شتى عما يسمى : مستقبل الأبراج ، وما لها من آثار مكملةٍ في شرخ توًحيد الربوبية وربط المسلم بالأسباب المادية الجافة ، أو التعبًير من قبل بعض ضعاف النفوس ، في الاهتياج بما يفرحه بقوله : «من حسن الطالع أن كان الأمر كذا» وبما يسوؤه بقوله : «من سوء الطالع كذا . . » .

فأصبحوا يتناوشون الطوالع والأبراج ، يبحثون عن سعادتهم في برج الميزان ، وينأون بأنفسهم عن أن يكونوا من أهل برج العقرب ، وهكذا تحيا الخرافة ، ويتجدد مذهب مسيلمة وابن صياد ، فالله المستعان ، ولقد ذكر شيخ

الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أراد المسير لقتال الخوارج عرض له منجم فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر في العقرب، وإنك إذا سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك، فقال رضي الله عنه: بل نسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج.

ومثل ذلك، ما فعله المنجمون الأفاكون مع الخليفة المعتصم، حينما أراد فتح عمّورية، استجابةً لصرخة امرأة مسلمة، فنهوه أن يغزوهم قبل أن ينضج التين والعنب، فردّ قولهم وسافر، فأكذب الله المنجمين وأعز المسلمين وسار بتسعين ألفًا كآساد الشرى، نضجت أعمارهم قبل أن ينضج التين والعنب.

ولذا فقد كان المسلم مأمورًا بالفأل ونبذ التطير، في سائر شؤونه ومنها السفر.

ولقد ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا تردّ مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**» رواه أبو داود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك**».

فانظروا عباد الله كيف وقع بعض الناس أسارى في هذا الشرك فوطئتهم هوته بكلكلها، وتمعكت عليهم بكواهلها، فأصبحت نفوسهم بذلك ساجيةً مقهورة وفي حكمة الذل منقادةً أسيرة، حتى صيروا أنفسهم في حوزة

خشناء، يغلُظ كلامها ، ويخشن مسُّها ، ويكثر العثار فيها ، فلا جرم أن المتخلص منها بعد الإدمان فيها كراكب الصعبة من الإبل إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم ، فيمنى لعمر الله بخلط وخبط ، حتى لا يُرى في عينه إلا القذى وليس في حلقه إلا الشجا ، إلا بعون من الله ورضوان ، فمن وفق للتوحيد رزق التسديد .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

قد قلت ما قلت إن صوابًا فمن الله ، وإن خطأ فمن نفسي والشيطان واستغفروا الله إن الله غفور رحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ،و الشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة من عصيانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أن الإسلام قد عُني بالسفر عنايةً فائقة ؛فجعل له أحكامًا تخصّه من سنن وآداب وواجبات، ومحرمات ومكروهات ينبغي ألا يغفل عنها كل مسافر. كما يُؤكِّدُ على إحياء السنن المندثرة عند السفر، من ذكر الوداع بقوله لمن يودعهم: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وكذا دعاء الركوب على الدابة، والتكبير على كل شَرَف والتسبيح إذا هبط واديًا ،وذكَر إقبال الليل أثناء السفر بأن يقول: «**يا أرضُ ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك، ومن شر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدبّ عليك، وأعوذ بالله من أسدٍ وأسود ، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد**».

وأن يقول إذا نزل منزلاً: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك.

وقد قال القرطبي رحمه الله : هذا خبر صحيح علمنا صدقه دليلاً وتجربة، منذ سمعته عملت به، فلم يضرَّني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقربٌ ليلة فتفكرت فإذا بي نسيته.

كما يستحب للمسافر عباد الله ، إذا بدا له الفجر وهو في السفر أن يقول

ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال حينما بدا له الفجر : «**سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا وأفضل علينا ، عائذًا بالله من النار**» رواه مسلم .

وغير ذلك من السنن كثير وكثير يطول المقام بذكره؛ غير أنا نوجه بأن وصايا النبي ﷺ بآداب السفر من ذكر وتكبير وتسبيح كأنه يعني بالتعريض أن القافلة المسافرة كلها في صلاة، وما هي إلا صور تجعل من تمجيد الله شغلَ قافلة السفر، ومن ذكره والثناء عليه، السموَّ الذي تطمئن به قلوب ذاكريه ، ومن ثم يشعر المسافر، باختصار السفر وسهولته فينجو من وعثائه وكآبته .

اللهم صل على محمد .....

* * *

وداع رمضان

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده سبحانه استتمامًا لنعمته، واستسلامًا لعزته، واستعصامًا من معصيته. إنه لا يَضِلُّ من هداه، ولا يَئِلُ من عداه، ولا يَفْرَقُ من كفاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً نتمسك بها أبدًا ما أبقانا، وندَّخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنها عزيمةُ الإيمان، وفاتحةُ الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدجرة الشيطان. . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والتوحيد الخالص.

صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى صحابته الأوفياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإنها مفتاحُ سداد،

وذخيرة معاد، وعتقٌ من كل ملكة، ونجاةٌ من كلِّ هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، فاعملوا، فإن العمل يُرفع، والتوبةَ تنفع، والدعاء يُسمع، وبادروا بالأعمال، عمرًا ناكسًا، ومرضًا حابسًا، أو موتًا خالسًا، فإن الموت هادم لذاتكم، يوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام علله، فكأن قد أتاكم بغتةً، فأسكت نَجيَّكم، وفرّقَ نَديَّكم، وعفَى آثاركم، وعطَّل دياركم، وبَعَثَ وُرَّاثكم يقتسمون تراثكم. بين حميم خاص لم ينفع، وقريب محزون لم يمنع، وآخرَ شامت لم يجزع، ألا وإن عليكم رُصَّدًا يحفظون أعمالكم، وعَدَدَ أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمةُ ليل داج، ولا يُكنُّكم منهم بابٌ ذو رتَاج. وإن غدًا من اليوم لقريب: ﴿**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله:

إن الأيام تمرُّ مرَّ السحاب، عشيةٌ تمضي، وتأتي بُكرة، وحسابٌ يأتي على مثقال الذرة، وإن في كرِّ الأيام والليالي لعبرة، وقد قال بعض الحكماء: إن السنةَ شجرةٌ، والشهورُ فروعُها، والأيامُ أغصانُها، والساعات أوراقُها، والأنفاس ثمرُها، فمن كانت أنفاسُه في طاعة الله، فثمرةُ شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرتُه حنظل، وإنما يكون الجذاذُ يومَ الحصاد، فعند الجذاذ يتبيَّنُ حلوُ الثمار من مُرِّها.

إن الناس منذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حطٌّ عن رحالهم إلا بالجنة أو النار.

عباد الله:

إن الزمنَ يجري بسرعة عجيبة، فهو دائبُ الحركة ليلاً ونهارًا، مؤكدًا أن تقاربَ الزمان من أشراط الساعةِ، كما صح بذلكم الخبر عن المصطفى ﷺ.

يتساءل الناسُ، من كان منهم بلغ العشرين من عمره أو الثلاثين، أو أقل أو أكثر، عن تلك الأيام التي عاشها، والليالي التي قضاها، ولا ينفكّ يراها ماضيًا تركه خلفه، لن يعودَ له مرةً أخرى، يشعر الناسُ جميعًا بذلك؛ صغيرهم وكبيرهم، برُّهم وفاجرهم: ﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣]، ولقد صدق رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه - بأبي هو وأمي - حيث يقول: «**اغتنم خمسًا قبل خمس، حياتَك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغَك قبل شُغْلك، وشَبَابَك قبل هرمِك، وغِنَاك قبل فقرِك**» أخرجه البيهقي والحاكم.

إنَّ هذا الحديث المنبعثَ من مشكاة النبوة، يمثل حياة الإنسان بأنها حبلٌ ممدود لا يدري متى ينقطع، ولأجلِ ذا كان لزامًا على المؤمن ألا يلتفتَ إلى الماضي، لينفَجعَ عليه فيقْنَط، أو يحزن عليه فيكسل، ولا يتلهف إلى المستقبل، يريد أن يعرفه قبل أوانه، ومن كانت هذه خلَّته فهو سلطانٌ ولو عاش في زي المملوكين، وجعلته بداهةً يحسُّ بأنه ليَس بينه وبين عظماء الدنيا إلا يومٌ واحد، أما أمس فلا يجدون لذتَه، ولا يجدُ هو شدتَه. وأما الغد فإنه وإياهم منه على خطر، والموتُ مُوترٌ قوسَه، لا تُخطئ سهامُه، ولا توسى جراحُه، وما هو إلا اليوم فما عسى أن يكون، فما مضى فات، والمؤمل غيب، وما له إلا الساعة التي هو فيها، ولن يستطيع ردّ الأمس في اليوم الجديد ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ** ﴾ [الروم: ٥٥]. ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [يونس: ٤٥]، ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** ﴾ [النازعات: ٤٦].

إن الزمن - عباد الله - فرصةٌ كبرى لإيقاظِ ذوي الفطن لفعل الخير،

والتوبة النصوح، وإسداء المعروف، وترك ما يشين ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [الفرقان: ٦٢].

إن الاتعاظ بالزمن، ودراسة التأريخ العام، وتتبعَ آيات الله في الآفاق، وتدبر أحوال الأمم كيف تقوم وكيف تفنى، كيف تكون ذاتَ عز يطاول الثُريا رفعةً وثناء، حتى سرى في جسدها داء التواكل، ودبَّ في نفوسٍ بنيها دبيبُ التخاذل، فتنحدر إلى الهاوية انحدار جُلمود صخرٍ حطَّه السيل من علٍ.

إن التطوافَ المتمحص هنا وهناك يعود بثروة طائلة من العبر والعظات، تزيد العبد معرفةً بربه، ويقينًا بقدرته وعظمته، وأن من يعش يكبر، ومن يكبر يمت، والمنايا لا تبالي ما أتت، وكلّ اجتماع فإلى افتراق، والدهر ذو فتح وذو إغلاق، وكم من أمةٍ سوف يكون غيرها، وسوف يفنى شرها وخيرها.

وإلا فأين ثمود الذين جابوا الصخر بالواد؟ وأين فرعون ذو الأوتاد الذين طغوا في البلاد؟ أين عادٌ إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد؟ أين أبرهة؟ أين قارون؟ أين الأكاسرة؟ وأين القياصرة؟ أين الجبابرة والصناديد الأبطال؟ طوتهم الأرض بعد حين، فافترشوا التراب، والتحفوا الثرى، وأصبحوا خبراً بعد عين، وأثراً بعد ذات.

ألا وكأننا في هذا البيت المبارك نتذكر إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - يرفعان القواعد من البيت، وكأننا برسول الله ﷺ يدخل البيت الحرام تعلوه السكينةُ وهو يرددُ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ألا فاعلموا عباد الله أن الزمان سيدور دورته، وأنه سيأتي على هذا البيت العتيقِ الشامخِ زمانٌ يُقتلعُ بناؤه حجراً حجراً، يصفُه رسول الله ﷺ

بقوله: «**يُخرِّبُ الكعبة ذو السويقتَيْنِ من الحبشةِ، كأني به أسود أفحج، يقلعها حجرًا حجرًا**» رواه البخاري.

ففي هذا الحديث ـ عباد الله ـ إيذانٌ بانتهاء الحياة الفانية، والوقوف أمام فاطر السموات والأرض جميعًا، حفاةً عراةً غرلاً، ما منا أحد إلا وسيكلمه ربه كفاحًا دون ترجمان، لا يُستثنى منا صغير ولا كبير، ولا أمير ولا وزير، ولا حر ولا عبد، ولا ظالم ولا مظلوم.

نعم سنقف جميعًا ـ وربِّ الكعبة ـ ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الأنعام: ٩٤] سنقف جميعًا ـ عباد الله ـ أمام الملك الجبار. فهل انتبهتَ لذلك أيها الظالم، ألا ترعوي وترفع الظلم عمن ظلمتَ قبل ألا ينفع دينارٌ ولا درهم. تُب إلى ربك قبل أن يدركك الأجلُ.

نعم أيها المسلمون سنقفُ جميعًا أمام الجبارِ جل وعلا، فهل تنبهتَ لذلك أيها الغاشّ، وأنت أيها المخادع.

نعم سنقف جميعًا أمام الواحد الأحد، فهلا انتشلْتَ نفسك أيها المعجبُ بوظيفتك الزاهي بوسامك، ماذا تشعر به من ذلك كله، إذا تجردت وخُلّيت بنفسكَ، ألستَ تكون أنت وعراةَ الفقراء سواء.

نعم عباد الله سنقفُ أمام الخالق جميعًا.

فهلا أدركت نفسك أيتها الفتاةُ المسلمةُ. أين أنت من هذا الموقف العظيم؟ أين أنت مَن هولهَ وطوله؟

أين أنت يوم تنكشفُ عورتُك وتُنشر صحيفتك؟ ألا تتوبين إلى الله، أما تُقلعين عن مَعصية الله وعن إغواءَ عباد الله بمفاتنك وإبداء حواجبك المزجَّجَة وعيونك المكحَّلة؟ حيث تفعلان بالألباب كما تفعل الخمر. وعطرك الذي يشدُّ حاسةَ الشمِّ من بعيد، فتحرَكين جانبَ الفجور في الرجالِ. وتُشعلين

كوامنَ الشهوة لديهم فَتَتَّقدُ كالنار المتأجِّجَة في الصدر، وتمتدُّ بالتالي سريانًا كاللهيب إلى كلِّ جارحة من جوارح الرَجل. ألا تتذكرين نارَ جهنم؟ ألا تَفْقَهين قولَ المصطفى: ﷺ «**رأيت النار، وإن أكثر أهلها النساء**».

نعم عباد الله سنقف جميعًا أمام ربنا وخالقنا ومولانا في يومٍ كان مقدارهُ ألف سنة. يوم الزلزلة والغاشية والقارعة، يوم الحاقة والدين وما أدراك ما يوم الدين.

عباد الله:

إن شهر رمضان قد أوشك تمامُه وإسدالُ ستاره قاب قوسين أو أدنى، بعد أن ظلَّ المسلمون تسعةً وعشرين يومًا منه، ينالونَ من نفحات ربهم، فما أسرع ما انقضت الأيام، وتلاشت الذكريات، وكأنها أوراق الخريف عصفت بها ريح القدر.

شهر رمضان! أين هو شهر رمضان؟ ألم يكن بين أيدينا؟ ألم يكن ملء أسماعنا وملء أبصارنا؟ لم يكن إلا طرفة عين، حتى انقضى موسم التقوى، وبلابل الروح قد هدأ تغريدُها وإلى الله المصير.

فيأيها المذنب، يا أيها المذنب: بدِّل اهتمامك لك باهتمامك بك، واسرق منك لك، فالعمر قليل. تظلَّم إلى ربِّك منك، واستنصر خالقك عليك، أترومُ حصادًا في هذا الشهر المبارك وأنت لم تبذُرْ بعد؟

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، هل التفت إلى نفسك أيها المذنب، وتفكرت في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكتَ سريعًا، ولو كُشف للناس بعضها لاستحييت من قُبْحها وشناعتها، أما لو كانت للذنوب روائحُ لما جَلس أحدٌ منا في هذا المسجد، فأفٍ ثم أفٍ لنفس مريضةٍ انسلخ عنها شهر رمضان وما

انسلخت عن قبيح عاداتها.

ألا وإن قلةَ التوفيقِ من قلة الاعتراف بالذنب.

ورحم الله ابن سيرين فقد حُمِّل دينًا فسُئل فقال: إني لأعرفُ الذنبَ الذي حُمِل عليَّ به الدَّيْن ما هو؛ قلتُ لرجلٍ مَنذ أربعين سنة: يا مفلسُ!!

الله أكبر ولا إله إلا الله. أيها المسلمون. قلَّتْ ذنوبهم فعرفوا من أين يُؤتون، وكثرت ذنوبنا فليس ندري من أين نُؤتى، والجزاء من جنس العمل. أولئك قومٌ جعلوا رضاء الله فوق أهوائهم، فأذعنوا لكل صغيرة وكبيرة وسلموا تسليمًا.

لقد كان الراعي منهم أشدّ حنانًا على من يرعى من الأم على ولدها، وكان العَالمُ منهم لا يألو جهدًا في إرشاد العامة إلى مناهج الحقِّ معذرةً إلى الله، وكانت المرأة فيهم عَفَّةَ الفؤاد، طاهرةَ الذيلِ، حُرَّةً لا تزني.

أولئك قومٌ كانت الدنيا عندهم وديعةً حتى ردّوها إلى من ائْتَمَنهم عليها.

ألا إن من حمدَ الدنيا ذمَّ الآخرة، وليس يكره لقاءَ الله إلا مقيمٌ على سخطه. ورضي الله عن ابن مسعود، حيث يقول: «زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصرٌ، وعالمُكم جاهل».

فيا مؤخرًا توبتَه بمطْلِ التسويف لأيِّ يومٍ أجَّلْتَ توبَتَك. كنت تقول: إذا شبتُ تبتُ، وإذا دخل رمَضان أنبتُ.

فهذه أيام رمضان عناقدُ انقَضَتْ، كنتَ في كلِّ يوم منه تضعُ قاعدةَ الإنابة لنفسك ولكن على شفا جرف هار. ويحك!! تعطَّر بالتوبة والاستغفار فقد أزكمتْك روائحُ ذنوبك، ولا تقنع في توبتك إلا بمكابدة حزنِ يعقوبَ أو بصبرِ يوسفَ عن الهوى، فإن لم تطق فبذُلِّ إخوته يوم أن

قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧] ثم اعلم يرعاك الله أن التائب من الذنب إذا صدق في توبته أحبَّه الله وأحياه ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] ألا إن من خافَ الله أخاف الله منه كلَّ شيء، ومن خاف الناسَ أخافه الله من كلِّ شيء.

وهكذا أيها المسلمون تنطوي صحيفةٌ رمضان، وتُقوَّضُ سوقٌ كانت عامرةً بالخيرات والحسنات، ربح فيها من ربح، وخسر فيها من خسر، وحُرِم من حُرِم، على تفاوت كبير في درجات الربح أو الخسران أو الحرمان وما لنا إلا الصبر على ألم فراقه، نودِّعه وأشواقنا لم تزل، ودموعنا في المآقي، والغصةُ في الحلوق جارحَة.

وأعيننا لانصرامه في أرق، وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنَّا على فراق رمضان لمحزونون، فأحسن الله عزاءكم، وجبر مُصابكم، وتقبَّل منا ومنكم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيراً طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أن للمسلمين في عامهم عيدين لا ثالث لهما، حكمًا شرعيًا، ومن جهة المعنى والواقع، فإن كلَّ يومٍ لا يَعْصِي فيه العبد ربه فهو عيد، كما قال علي بن أبي طالب.

والعيد عباد الله مسرحٌ للاستئناسِ البريء، البعيد عن الصخبِ والعطبِ.

بيتًا ومجتمعًا وإعلامًا، وإنه متى تجاوز الناس حدودَ الله في أعيادهم، من لهوٍ محرم وطرب ومعازف، فما قدروا الله حقَّ قدره، وما شكروه على آلائه.

ولقد رأى أحدُ السلف قومًا يعبثون في يوم عيد بما لا يُرضي الله فقال: إن كان هؤلاء تُقُبِّل منهم صيامُهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كانوا لم يُتقَبَّل منهم صيامهم فما هذا فعْلُ الخائفين.

عجبًا لأمثال هؤلاء - عباد الله - نهارُهم في دجنة وليلهم جهوري، ألذّ ما عندهم سَمَرُ العشاق، أو شغل المشغولين بالفراغ. عبادتهم نزرٌ وغوايَتُهم غَمْر، لا يعلمون أي ميزةٍ لصيام الستِّ من شوالَ، أو آخر ساعةٍ من يوم

الجمعة، أو ثلث الليل الآخر، ويكادون يفتقدون القشعريرة التي تُستمطر بها بركات السماء. قُبَيْلَ العيد يعقدون الجلسات غير المباركات عن معاقد العزم، في شد الرحال في إجَازة العيد، إلى مجاري الأنهار وشواطئ البحار، في بلاد الكفار، أو بلاد تشبهها، في رحلات عابثة، أدنى سوئها الإسرافُ والتبذير، ناهيكم عمّا يُشاهد هناك من محرمات ومخاز، تحلقُ الدِّين لا تحلق الشعر. ولقد صدق رسول الله ﷺ في قوله: «**أنا بريء من مسلمٍ يقيم بين ظهراني المشركين لا تراءى ناراهما**» رواه أبو داود والترمذي.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله قد فرض عليكم صدقةَ الفطر على الذكر والأنثى، والحر والعبد، والصغير والكبير؛ صاعًا من بُر أو أقط أو تمر أو زبيب أو شعير، وإن بعض الناسِ هداهم الله، يؤدون زكَاةَ الفطرِ من النقود، ألا فليعلموا أن القيمة لا تجزئُ في دفعِ زكاةِ الفطرِ على الصحيحِ.

ولقد كان رسول الله ﷺ يؤديها قبل خروجه لصلاة العيد، وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤدونها قبل العيد بيوم أو يومين. ألا فأخرجوها ـ رحمكم الله ـ طيبةً بها نفوسكُم. راضيةً بها أحوالكم ـ هذا وصلوا ـ رحمكم الله ـ على خير البرية وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صاحب الحوض والشفَاعة، فقد أمركَم الله بذلك في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

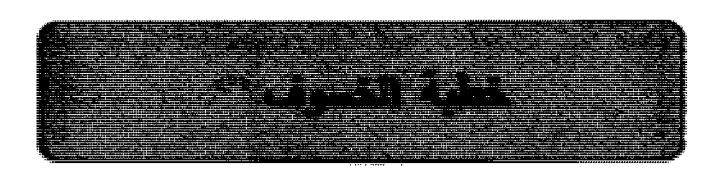
اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم ارض عن خلفائه الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن

سائر الصحابة أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصرنا على من ظلمنا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا يا ذا الجلال والإكرام، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

* * *



خطبة الخسوف(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه واعبدوه واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. تقوى الله سبحانه هي حبل المؤمن في الدنيا ونجاته في الأخرى، ولم تكن التقوى يومًا ما صلة نسب أو مصاهرة نكاح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

وإن يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء

فأصل الناس واحد وتفاضلهم إنما هو بتقوى الله عز وجل والقرب منه، وما النسب والرحم إلا ملتقى للصلات والتقارب واجتماع القلوب.

(١) هذه الخطبة ألقيت ارتجالاً، وفرغت من شريط التسجيل.

ألا إنما التقوى لباس وزينة ... فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشرك الشقي أبا لهب

فما ضر بلالاً يوم أن أعلن تقواه الله فسمع رسول الله ﷺ قرع نعليه في الجنة، وما نفع أباطالب وأبا جهل يوم أن تنكصوا لشرع الله وعبادته، وما ضر أباهند وقد كان حجامًا أن يقول فيه النبي ﷺ «**يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه**»، وقد كان حجامًا رضي الله عنه.

ألا إنما التقوى هي العز والكرم ... وحبك الدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبدٍ تقي نقيصة ... إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

عباد الله:

إن نعم الله علينا تترى، وإن أفعالنا للمعاصي تترى، يطعمنا ربنا فنكفر ونعصيه فيغفر وإننا لفي غفلة عن الموت والبلى والحساب يوم الجزاء.

نصل الذنوب إلى الذنوب ونرتجي ... درج الجنان لدى النعيم الخالد

ولقد علمنا أخرج الأبوين من ... ملكوته الأعلى بذنب واحد

يا من بدنياه انشغل ... وغره طول الأمل

الموت يأتي فجأة ... والقبر صندوق العمل

أيها الناس:

في ظل الحياة المادية الجافة تعلقت قلوب الكثير إلا من رحم الله بالنظر إلى الطبائعيين الصرف وتعليل الأحداث بمعلولات طبيعية بحتة دون النظر إلى موجدها وجاعلها أسبابًا خاضعة لمشيئته وقدرته، إن خسوف القمر وكسوف الشمس آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده؛ فهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته. ولقد بات تعلق الناس بالمسببات مع هذه الحوادث

أكثر من تعلقهم بمقتضياتها والمشروع تجاهها . فإذا ما خسف القمر قالوا : هو في مرحلة الظل ؛ تحول الأرض بينه وبين الشمس ، وإذا ما تزلزلت الأرض ، قالوا : هذا نابع من القشرة الأرضية بسبب كيت وكيت ، وإذا كثرت الأمطار وهبت الأعاصير قالوا : هي المنخفضات الجوية أو المرتفعات وما أشبه ذلك .

فعلام عباد الله نلتفت إلى هذه المسببات الطبيعية وننسى أن الله جل وعلا هو المسبب لها ، فلم نكون أردى وأخذل من أهل الجاهلية الذين سلموا بمثل ذلك لله جل وعلا حتى قال مسلم الجاهلية :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبًا زلالا
إذا هي سيقت لبلدة	أطاعت فصبت عليه سجالا
وأسلمت نفسي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها	سواء وأرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الريح تصرف حالاً فحالا

ولذا فإن علينا أيها الأخوة أن ننتبه إلى قضية جد خطيرة ، قد يغفل عنها كثير منّا ألا وهي قضية الإشراك في الربوبية ، التي ربما تساهل فيها بعض الناس من منطلق قناعتهم المغلفة أن هذا التوحيد لا يتطرق إليه إشراك ألبتة ، وهذا خطأ صريح ؛ فإن النبي ﷺ ثبت عنه كما في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني أنهم صلوا الفجر مع رسول الله ﷺ على إثر سماء كانت مطيرة فقال رسول الله ﷺ : «**يقول الله سبحانه: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا أو نوء كذا فذلك كافر بي مؤمن**

بالكوكب».

فدل هذا الحديث عباد الله على أن الشرك قد يقع في الربوبية وأن نسبة الأحداث، إلى غير الله شرك، ولأجل ذا قسم أهل العلم الشرك في ذلك قسمين:

الأول: من قال: إن هذه الأشياء هي المحدثة بنفسها مستقلة بهذا الإحداث، فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.

الثاني: من قال: إن هذه الأشياء أحدثها الله سبحانه، ولكن يعتقد أن لها تأثيرًا، فهذا شرك أصغر غير مخرج من الملة.

ولأجل ذا عباد الله فإن علينا أن نحذر الوقوع في ذلك، كما أنه ينبغي علينا نسبة الأحداث إلى محدثها وهو الله سبحانه وتعالى، وأن نأخذ منها العبرة والعظة، وأن كثرة حدوث الآيات مما يؤكد ذلك؛ فالكسوف لم يحصل في عهد النبي ﷺ إلا مرة واحدة على الصحيح.

وأما في هذه العصور فهي تتكرر مرارًا، فكم صلينا من صلاة كسوف أو خسوف في أيامنا؟ إنها كثيرة وكلها نذر للبشر ليلتفتوا إلى واقعهم وينتبهوا لأنفسهم فيتوبوا إلى الله عز وجل، ولأجل ذلك، أمروا عند حدوث مثل ذلك بالعبادة والفزع والصلاة والتصدق، سبحان الله!! كل هذا متعلق بالكسوف والخسوف، فالعبادة إذًا أمر واجب علينا، بل إن التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ في مكة كان كله منصبًا على توحيد الألوهية الذي يسمى توحيد العبادة، وهو إفراد الله بالعبادة، والعبادة كما قال شيخ الإسلام: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

قال ابن القيم :

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

فلا بد في العبادة من أن تتحقق غاية المحبة وغاية الذل، أي النهاية القصوى في المحبة والنهاية القصوى في الذل، وإلا فليست عبادة إذا اختلت عن ذلك.

ومما زادني شرفًا وفخراً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

ولذلك وصف الله محمداً بأنه عبد له حتى في موطن الدفاع عنه والتشريف له يقول: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَه...**﴾ الآية [الإسراء: ١] ويقول: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾ [الكهف: ١] فوصفه بالعبودية مع أن له أسماءً أخرى ثبتت في أحاديث صحاح مثل: أحمد ومحمد والماحي والعاقب والحاشر، وما ذاك إلا لشرف منزلة العبودية؛ إذ إن كلنا ينبغي أن نكون عباداً لله عز وجل نعبده بغاية الذل وغاية الحب وغاية التعظيم له جل وعلا.

وبعد أيها الإخوة: فعليكم جميعًا أن تنظروا في واقعكم وتصححوا ما فيه من أخطاء، فإن نعم الله علينا تترى، وأفعالنا للمعاصي تترى.

نصل الذنوب إلى الذنوب ونرتجي ... درج الجنان لدى النعيم الخالد

ولقد علمنا أخرج الأبوين من ... ملكوته الأعلى بذنب واحد

آدم وحواء، أخرجهما الله من الجنة بذنب واحد، فما بالكم بنا أيها الناس، ما بالكم بذنوبنا نحن وقدتوالت وتكاثرت ويتبع بعضها بعضًا اتباعًا حثيثًا، نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية.

فعلينا أن نلجأ إلى الله ونستغفره ونتوب إليه، فإن الله رؤوف بعباده رحيم بهم ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤] ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣] .

وباب التوبة مفتوح على مصراعيه لا يغلق إلا إذا طلعت الشمس من مغربها وبلغت الروح الحلقوم، فالبدار عباد الله إلى التوبة النصوح، وإلى أن ننظر إلى هذه الكوارث نظر اعتبار وادكار لا نظر طبيعة وجبلة، وإلا لكانت هذه النذر متروكة خلف ظهورنا، وعليها فلنستعد للسؤال عنها ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾[المؤمنون: ٦٦] ، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥، ١٠٦] زلازل، ورياح، فيضانات، ونحو ذلك فلا ادكار ولا ارعواء. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من التائبين العائدين إليه.

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
امنن علينا بتوبة تمحو بها ما كان منافي الزمان الأول

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

* * *

حقوق الإنسان الزائفة

الخطبة الأولى

الحمد لله سبحانه، أنعم على العباد بدينه القويم ودعوته، ومنَّ عليهم بشرعته وصبغته، وأكرمهم بتوضيح الطريق إلى مرضاته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] لا إله إلا هو سبحانه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، يسبح له الليل إذا عسعس، والصبحُ إذا تنفس.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، قائدُ المجاهدين، وإمامُ المتقين، قضى دهره لله عابدًا، وأفنى فيه مجاهدًا، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الأتقياء البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

مهما يكن من شيء بعدُ، فوصيتي لكم ونفسي بتقوى الله سبحانه؛ فهي

عمادُ المؤمن في الدنيا، وأنيسُه في قبره، وسلوانه في وحشته، ودليلُه في الأخرى يوم يلقى الله سبحانه إلى جنات النعيم.

عباد الله:

إننا لنعلم بالضرورة أنه لا يجوز للناس أن يتخذوا غير الله ربًا أو حكمًا، وأن من فعل ذلك أو همّ به فهو جاحد للحق خائن للنعمة، وكذا من اتبع غيرَ ما شرعه الله، أوحكم بغير ما أنزل الله، إنما هو مهمل للتشريع الإلهي، ومعتنقٌ للقوانين البشرية، في عبث شائن وجاهلية منكرة ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً**﴾ [الأنعام: ١١٤].

إنها لم تُترك أحكام الله إلا ببواعث الهوى، غير أنه منظم مزوق، كأنه منطق العقل الشديد، وهديُ المصلحة الزائفة، التي لا تتصل بحنايا القلوب: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [يونس: ٩٤]، ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿**لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [القصص: ٧٠].

إن الشريعة الإسلامية ضمان للصالح العام، وهي مبنية على الرحمة والعدل، والخير الذي يأمر الله عباده به ـ وما يأمر إلا بخير ـ تعود غايته لإسعاد الناس في عاجلهم وآجلهم، والشر الذي نهاهم عنه ـ وما ينهى إلا عن شر ـ ليس إلا وقاية لهم، من أذى قريب أو بعيد، أو من سوء مغبة جلية أو خفية؛ ولذا سما الإسلام بالإنسان روحًا وجسدًا، عقلاً وقلبًا، لم يضع في عنقه غلاً، ولا في رجله قيدًا، ولم يحرم عليه طيبًا، كما أنه لم يدعه كالكرة تتخطفها مضارب اللاعبين، فتتهادى في كل اتجاه، بل خاطبه ربه خطابًا صريحًا: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ**﴾ [الانشقاق: ٦].

يقول ابن القيم رحمه الله : اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه، بأن كرمه وفضّله وشرّفه، وأنزل إليه وعليه كتبه، وأرسله وأرسل إليه، فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات.

ومن ثمّ عباد الله ، فإن الناس في هذه القضية طرفان، فالماديون التحرريون قالوا: إن الإنسان يعيش لنفسه ومتاع الدنيا، فإذا كان الأحمق منهم يعيش ليأكل، فإن العاقل منهم يأكل ليعيش.

وأما المؤمنون الموحدون فقالوا: إنما يعيش الإنسان لربه الأعلى، ولحياته الباقية الأخرى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

بيد أن أهل الكفر ـ عباد الله ـ قد بذلوا غاية وسعهم في الدعوة إلى قضية كبرى، وراءها ما وراءها من الخطورة على الفكر، والوعورة في المسلك، ألا وهي ما أسموها: «مبادئ حقوق الإنسان»، وجعل الحريات ـ حسب مفهومهم العلماني، الرافض للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها سببًا يبيحون به تدمير الأخلاق، ويشيعون به فوضى الغرائز في ديارهم، والبلاد التي تشبهها أو تقتدي بها، حتى تلتبس بلباس العلمانية، المخيطِ من جرَّاء التحرر من الدين، وتنحيته عن واقع الحياة.

وهم يزعمون أنها مبادئُ الحضارة والتقدم والرقي، من خالفها وكابر فيها رموه بأنه مخالفٌ لمبادئ حقوق الإنسان، وليست من الحق في وِرْد ولا صَدَر، ولا هي من بابته؛ حيث إن حُلْوَهَا مر، وسهلَها صعب، ودماثتها دميمة.

ولقد صدّقوا ظنهم، فاتبعهم أغرار ولهازم، من مفكرين وكتاب، في

العلوم السياسية والاقتصادية والقانونية، وعلم الاجتماع، وأخذوا في الدعوة إلى حقوق الإنسان على ما يريده الغرب، ومن عامة الناس أشياع لهذه الدعوات ولُدات، يتنكرون لأصول دينهم، إبان سنة من ذوي الإصلاح والتوجيه، ويظنون في مبادئ حقوق الإنسان، النضجَ والخروج من المأزِق، وأن ما يأتي من ديار الإسلام قديم بال، حتى وقعت مواقع بين الطرفينِ، وكان سلاحها من أولئك، قذائف الزّندقة والكفر، ومن أولاء دروع الاستكانة والتخاذل عن القيام بالواجب.

هذه المبادئ التي أرادوها تمثلت بشعار الحرية والمساواة والإخاء، وبالله، إلى أي مدى بلغت هذه المبادئ من تضليل الشعوب، بيد أن الجميع غيرُ قادرين على أن يصلوا إلى نقطة ارتكاز ينبثق منها هذا المبدأ المزعوم، فماذا تعني عندهم كلمة الحرية والمساواة والإخاء، أهي في الفكر؟ أم الاقتصاد؟ أم الصحافة؟ أم الاجتماع؟!

وإذا سلمنا جدلاً أنها تعني هذه المعايير كلها، فمن الذي يحدد نسبَ هذه الحريات وحدودها؟ أهو السلطان؟ أم الشعوب؟ أم الشعار نفسُه؟!

الواقع المشاهد عباد الله، أن مُنشئي معاني هذه المبادئ لم يصلوا إلى تحديد الوجهة، ولا زالوا يعانون من مشكلات هذه الطروحات، والحق أن من كان خصب الحدس واسعه، علم أن هذا كله كان ألفاظًا ورسومًا لمقررات اليهود وحكمائهم، والتي قالوا فيها: «كنا أولَ من اخترع كلمات الحرية والمساواة والإخاء التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون ترو، بل إنها جلبت لنا أعوانًا من جميع أنحاء الدنيا»، والحق عباد الله أنه مخطئ من ظن يومًا أن للثعلب دينًا.

أيها المسلمون:

إن الكثيرين يسمعون ويشاهدون في صحف العالم تارة، وفي المنتديات المقنّعة تارات، لَغَطًا جهولاً، مصحوبًا بقلم متعثر، وفكرٍ في كل واد منه شُعبة، حول قسوة القيود، التي جاء بها الشارع الحكيم، ورميها بأحدِّ العبارات المسفَّة، ودهماء الناس مشغولون بالجدل والحوار حول ما يثيرونه، ويتوهمون أنها مشكلاتٌ حقيقية، لابد لها من حلول، فيقدمون في التشريع، ويهوشون في الحدود، ويفتحون ملف المرأة على أنها مهضومة الحق، أسيرةُ الكبت، لا حظَّ لها في العبّ من الفوضى، ولا قدَمَ لها في المنتديات أو الدوائر المكشوفة، وأنها متى رغبت في أخذ حقها المزعوم، أو التعبير عن رأيها الفاضح، فليس لها إلا أن تتسلل لواذًا على تخوفٍ لا يزيله إلا تقادمُ الأيام ومرُّ الليالي.

ونظن أن خطورة مثل هذه القضية قد تبدت خطوطها، ولا يظن بالطبع أن ما بقي من ألوانها ورسومها بمعجزنا أن نتخيله، فمواقعوها صنف من الناس يتمددون بالحرية، وينكمشون بالإسلام، وكفاكم من شرٍّ سماعُه، وتلكم شماله نعيذكم بالله من غائلتها، يشوشون حق المرأة، ويطلبون إنصافها، فطلبوا بذلك زُكامًا، في حين أنهم ما أحدثوا إلا جذامًا، وحللوا بزعم منهم عقدًا، وبالذي وضعوه زادت العقد.

ولا غرو أن يحصل هذا عباد الله، إذا نطقت الرويبضة، ولا جرم ألا يصل العطاشى إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا، **ومن يثني الأصاغر** عن مرادهم إذا جلس أكابرهم في الزوايا؟!

إني أسائلكم عباد الله : ما هذه الحرية التي يطبِّلون لها و يزمرون، ويجعلون الاعتداء عليها أو التطرق لنقدها كفرًا بها وبالديمقراطية، ما هذا

كله؟ أهي حرية المرأة في أن تخلع جلباب حيائها، وتكشف من جسدها ما تريد؟ أو هي حرية الفسوق والعصيان اللذين كرههما الله إلى السلف الصالح: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

إنهم بين أمرين لا ثالث لهما: إما انهم يهرفون بما لا يفقهون، وإما انهم يتسترون بالألقاب والمسميات الخلابة، من حرية وإخاء، وفكاك من إصر وأغلال، والله أعلم بما يوعون، والمثل السائد: «تحت الرغوة اللبن الصريح»، وإلا فأي أمة تصنع هذا الصنيع، وهي تريد أن تكون ممن يرد حوض نبيها ﷺ، أتريد أن تكون بدعًا من الأمم، تأخذ من كل أمة شرَّ ما عندها، وتدعو إلى أن تبدأ حياتها الاستقلالية بهذه الأخلاط من الشرور، المركبة تركيبًا مزجيًا يمنعها من الصرف والعدل، إنه والله طريق الموت الحاضر لا طريق الحياة.

قال رسول الله ﷺ: **«كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى»** قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»** رواه البخاري.

ولكن من مبلغ عنا الرعاع من بني قومنا، أن دعاة حقوق الإنسان وأبواقهم قد رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، وخافوا بذلك أن تفوتهم حظوظ من الدنيا، بانقطاع لذائذهم، وانتشال علائقهم، فتقدموا حاقدين، ضامرين الغدر ناسين أن الله سميع بصير، وأنه خير حافظًا وهو أرحم الراحمين، كما انه كتب على نفسه أنه سيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار حتى لا يدع بيت مدر ولا وبر **إلا أدخله هذا الدين**، ولمثل هذا فليبك الباكي حسبكم **باليهود** من هلاك.

قال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ؛ يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم.

ومن هنا برزت لنا حقوق الإنسان على ما أراده الشارع الحكيم، في مثل خطاب النبي ﷺ في حجة الوداع : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، وقد ترجم البخاري في صحيحه بابًا يقول: «ظهر المؤمن حمى إلا من حدٍّ أو حق»، وتفسير هذه القاعدة يتمثل في أن حقوقه محمية إلا إذا ارتكب ما يوجب العقوبة عليه، كما أنَّها تعني كذلك: وجوب تطبيق الحدود، والغَيرة على حرمات الله ، لقول عائشة رضي الله عنها: «والله ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تُنتهك حرماتُ الله فينتقم لله» رواه البخاري.

ومن معاني القاعدة أيضًا: المساواة أمام العقوبات بين الشريف والوضيع ؛ لأن الغاية هي المحافظة على حقوق الجميع، عملاً بقوله ﷺ : «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركونه على الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها» رواه البخاري.

كما أن من معاني تلكم القاعدة العظمى: المحافظة على حقوق أهل الذمة، وهم الكفار الذين يدخلون في ذمة المسلمين، فإن دخلوا تحت أحكامهم حفظوا لهم حقوقهم ما داموا في ذمة الله ورسوله ﷺ، وأقاموا عليهم الحدود، فيما يعتقدون تحريمه ؛ كالزنا ونحوه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مُرَّ على يهودي محممًا مجلودًا، فدعاهم النبي ﷺ فقال :

«**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟**» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فقلنا: إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلناه التحميم والجلد مكان الرجم، وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**»، فأمر به فرجم، فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**...﴾ [المائدة: ٤١] الحديث. رواه مسلم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيدُ البشر الشافع المشفع في المحشر، صلى الله عليه وعلى آله السادة الغرر.

أما بعد:

فإننا عباد الله من هذا المقام، لنذكر المصلحين من أمتنا، بوجوب الدفاع عن الشريعة الإسلامية، من منطلق عقدي صحيح، وبيان مقاصد الشريعة في حدودها، وما تنطوي عليه من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، كل حسب طاقته ووسعه، مع كشف الجوانب المظلمة، التي تضمنتها مبادئ حقوق الإنسان، والرد على من أسموا أنفسهم بالمفكرين أو المتنورين، الذين انخدعوا بتلك الشعارات، وخدعوا الأمة الإسلامية بها، وما طرْحُنا لهذه القضية، إلا كنفثة مصدور، ولابد للمصدور أن ينفُث.

والمشاهد عباد الله أن الكأس تفيض عند امتلائها، كما أنه ينبغي التنبه إلى أمر مهم، قد يخفى على البعض منا، وهو أن من مستلزمات الأخذ بمبادئ حقوق الإنسان هو الجلوس على موائد أهل الكفر المستديرة في ندواتهم ومقرراتهم، والتي مفادها هدم ركن ركين، وأصل أصيل من أصول الإسلام، ألا وهو ركن الولاء والبراء، أعني الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين، الذي هو من لوازم كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وذلك اللازم المؤكد في مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ

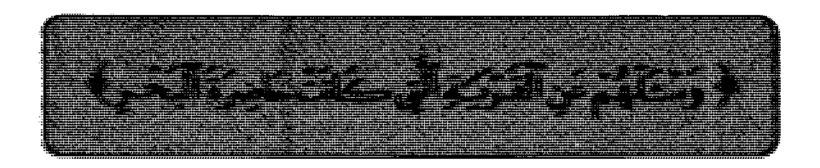
الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، و في مثل قول المصطفى ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي لما بايعه على الإسلام حين قال له: «أن تنصح لكل مسلم، وتَبْرأ من الكافر» رواه أحمد.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، العالمُ المجدد لما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر: «فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتُبغضها، وتكفّر أهلها، وتعاديهم».

وذكر رحمه الله من نواقض الإسلام: «من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو يصحح مذهبهم كفر». وقال رحمه الله: «ومظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]».

اللهم صل على محمد...

* * *



الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إلى الله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشداً، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه وراقبوه، لئلا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا يبغي بعضكم على بعض، وتكونوا عباد الله إخوانا.

أيها الناس:

إن كتاب الله عز وجل هو المنبع الثرُّ للهدى والحق، فيه يجد المسلم النورَ الذي يضيء له الطريق، ومنه يفوز بالقوة والخشية من الله، المثمرة الاعتبارَ والادكار، اللذين يحفزان إلى الخير، وينقذان من ترادف الزلات، وحلقات الانحراف، ومن ندّ عن السويِّ من ذلك فما هو بحي، ولو نما جسمه ونبض عرْقُه، بل هو ميت، وإن طار في السماء أو غاص في الماء: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ألا وإن المرء المؤمن حينما يغشى معالم كتاب ربه بقلب غير مقفول، لهو كمتعبدٍ يغشى في مصلاه، ولربما أكرمه مولاه جراء تدبره فلم يخطئ، دمع عينه مجراه، يغدو في خمائل القصص والعبر، يمتح من هذه، وينهل من تلك، متأولاً قول ربه سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إن مثل آيات القصص عباد الله لجديرة بحق، أن نقف عند معانيها، وما ترمي إليه من دروس وعظات، ينبغي ألا تذهب هدرًا على ذوي الألباب؛ إذ ليس شيء أنفع للمرء من تدبر القرآن، وإطالة النظر في عواقب المثلات التي قد عفت، فيرى لعن اليهود ومسخهم، ويقرأ غرق فرعون ذي الأوتاد، وخسف قارون، ويتأمل عذاب إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، فيعيش المرء مع القرآن حتى كأنه في الآخرة، ويغيب عن الدنيا حتى كأنه خارج عنها: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

عباد الله:

يقول ربنا جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ...﴾

[الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦]

هذه الآيات عباد الله إنما هي بسط في المقام لما أجمل في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، والمقرر عباد الله أن من خصائص القرآن الكريم: الإجمال في موضع، والبيان في موضع آخر، لأجل أن تشرئب النفوس إلى معرفة التأويل، وربط الآيات القرآنية بعضها ببعض، وليس ذلك إلا للقرآن خاصة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾

[الزمر: ٢٣].

أيها الناس:

إن حاصل معنى آيات الأعراف هذه هو أن اليهود المعارضين لرسالة محمد ﷺ زعموا أن بني إسرائيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لما أمروا به؛ ولذا أمر الله نبيه ﷺ أن يسألهم على جهة التوبيخ لهم عن هذه القرية،

وهي على المشهور من أقوال المفسرين قرية أيلة على شاطئ بحر القلزم بين مدين والطور، هذه القرية أهلها من اليهود وكانوا يعتدون في يوم السبت، ويخالفون شرع الله؛ حيث إنه نهاهم عن الصيد فيه، وكان الله سبحانه قد ابتلاهم في أمر الحيتان بأن تغيب عنهم سائر الأيام، فإذا كانوا يوم السبت جاءتهم في الماء شُرّعًا مقبلة إليهم مصطفة، فإذا كان ليلة الأحد غابت بجملتها، ففتنهم ذلك وأضر بهم، فتطرقوا إلى المعصية بأن حفروا حفرًا يخرج إليها ماء البحر على أخدود، فإذا جاءت الحيتان يوم السبت وكانت في الحفرة ألقوا فيها حجارة فمنعوها الخروجَ إلى البحر، فإذا كان الأحد أخذوها، حتى كثر صيد الحوت، ومُشي به في الأسواق، وأعلن الفسقة بصيده، فنهضت فرقة منهم ونهت عن ذلك، وجاهرت بالنهي واعتزلت، وفرقة أخرى لم تعص ولم تنه، بل قالوا للناهين: ﴿ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فلما لم يستجب العاصون؛ أخذهم الله بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، فنص سبحانه على نجاة الناهين وسكت عن الساكتين، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا.

روى ابن جرير بسنده عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما والمصحف في حجره وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يابن عباس جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات، وإذا هو في سورة الأعراف، فقال: ويلك، تعرف القرية التي كانت حاضرة البحر؟ فقلت: تلك أيلة، فقال ابن عباس: لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت، نخاف أن نكون مثلهم،

نرى فلا تنكر، فقلت: أما تسمع الله يقول: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾؟ فسرّي عنه وكساني حلةً.

عباد الله:

إننا بحاجة ماسة إلى أن نرفع الستار، ونلقي الضوءَ الواعظ على هذه الآيات الكريمات، التي تتمخض عنها دروس ثرة، ووصايا حثيثة، نوجز منها على سبيل المثال لا الحصر: ما أوضحه الله في هذه الآيات مما تنطوي عليه طبائع يهود، من خبث ومكر، وتنكر للرسالة السماوية، يتلونون تلون الحرباء مماجلب لهم المقت من ربهم، فأُوقِعت بهم شر العقوبات: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

لقد كان لليهود شأن في بادئ الأمر، وقد أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٠-٣٢]، لكن التحول الذي حدث فيهم كان جذريًا، حتى أصبح لا يعرف من شمائلهم أنهم يقودون إلى تقوى، أو يُعرفون بمهادنة، ومن هنا تبدو النكتةُ اللطيفة وهي أنه من الغباء بمكان أن يحسب أهل جيل ما أن رحى الأيام لا تدور بالمجتمعات، وأن من ارتفع اليوم ستبقى رفعته له غداً إذا غير وبدل.

إن التاريخ صفحات متتابعة، يُطوى منها اليوم ما يطوى، ويُنشر منها غداً ما ينشر، وإن الله جل شأنه يختبر بالرفعة والوضاعة، بالزلزلة

والتمكين، بالخوف والأمن، بالضحك والبكاء: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٢ ـ ٤٤] كل ذلك حتى تنقطع الأعذار، وتُخرسَ الألسنُ التي مُرِّنت الجدل، فإن ناساً سوف يبعثون يوم القيامة وهم مشركون ويقولون لله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣، ٢٤].

ولأجل ذا عباد الله جاء التحذير الصارخ من أن نسلك مسالكهم، بل جاء الأمر الصريح بمخالفة اليهود والنصارى في غيرما حديث، ومن الدروس المستفادة عباد الله: أنه ينبغي على أهل العلم وذوي الإصلاح أن يقوموا بواجب النصح والوعظ في إنكار المنكرات، على الوجوه التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ولا يمنع من التمادي على الوعظ، والنهي والإصرار عليه عدمُ القبول من المخالف؛ لأنه فرضٌ فرضه الله قُبل أو لم يُقبل، وأن هذا هو الذي يحفظ للأمة كيانها بأمر الله، وبذلك تكون المعذرة إلى الله، ويكون الخروج من التبعية وسوء المغبة، وبمثل أولاء يدفع الله البلايا عن البشر: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، ولم يقل: وأهلها صالحون؛ فإن مجرد الصلاح ليس كفيلاً في النجاة من العقوبة الإلهية الرادعة؛ ولأجل ذلك قال النبي ﷺ: **«لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»**، وحلّق بإصبعه؛ الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله،

أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**» رواه البخاري ومسلم.

﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾ [القصص: ٥٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن ......

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله والتابعين.

أما بعد:

فإن من الدروس المستفادة من الآيات عباد الله أن التهوين من شأن الإصلاح أو التخذيل أو الإرجاف فيه، ليس من سمات الأمة المسلمة الحقة، وأن مقولة بعضهم: «دع الناسَ وشأنَهم فربهم رقيب عليهم»، ليس من السنة في شيء، إنما هو في الواقع إقعاد بكل صراط يُوعد فيه، ويصد عن سبيل الله من آمن، وحينئذ لابد من معرفة العاقبة، لمن كان ديدنه كذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الأعراف: ١٦٤] ومن هنا عباد الله جاء حذر ابن عباس من أن يكون ومن معه من الفرقة الثالثة، وبعد، فيا رعاكم:

ليت شعري من لم يكن بالحق مقتنعًا　　　يخلي الطريق ولا يوهنْ من اقتنعا

ومن الدروس عباد الله: أن الشارع الحكيم جاء بسد الذرائع، المفضية إلى ما حرم الله ورسوله ﷺ، وأن شيئًا من أنواع الحيل الموصلة إلى ما حرم الله لا يجوز ألبتة؛ لأن الحيل طرق خفية يتوصل بها إلى حصول الغرض، بحيث لا يُتفطن لها إلا بنوع من الذكاء والفطنة، وهي وإن كانت تخفى على جملة من البشر، إلا أنها لا تخفى على رب البشر؛ إذ إنها من باب الإلحاد

في حدود الله ، وهو الميل والانحراف عنها : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت : ٤٠].

وأيًا كانت هذه الحيل، في العبادات، أو المعاملات، أو الأحوال الشخصية، أو نحوها، لا يجوز فعلها للوصول إلى المحرم من طرف خفي، ولربما انتشر مثل هذا في أوساط الكثيرين، لا سيما في البنوك والمصارف، أو في الهيئات، والشركات المتعهدة في اتخاذ طرق ومرابحات دولية ، أو مضاربات صورية، إنما هي في حقيقتها حيلة علَى أخذ الربا، فيُخدع ببهرجتها السذج، ويُغررُ بها الذين ينشدون الكسب الحلال، فيوقعونهم في شرٍّ مما فروا منه، دون الرجوع إلى أهل العلم والمعرفة في كشف حقيقة تلك المرابحات، ما يجوز منها وما لا يجوز، وكذا الحيل في التخلص من الزكاة بتفريق للمجتمع، وجمع المتفرق، ولقد كتب أبو بكر رضي الله عنه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ : «ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة» رواه البخاري.

ومن ذلك عباد الله : الحيل في إباحة المطلقة طلاقًا لا رجوع فيه، نتيجة شقاق ورعونة عقل، أعقبها ندم، ولات ساعة مندم، ثم لا تسألوا بعدها عباد الله عن كذا حيلة وحيلة يزوِّرها في نفسه، ويخدع بها في إباحة ما حرم من لا يعرف الحيل، إلا على المحتال فلا؛ لأنه هو طبيبها، ويا محنة الأجيال بالمحتال، ولا غرو أن يقع أولئك في أتون الإثم، والتعدي على حدود الله، ناسين أو متناسين قول النبي ﷺ فيما رواه أبو عبد الله بن بطة بسند جيد أن النبي ﷺ قال : «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل».

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها**»، وغير ذلك كثير وكثير، وما الأمثلة المطروحة إلا شعبة في واد، وتُرَّةٌ من نبع، القصد من ورائها تنبيهُ الغافلين، وإنذارُ المتغافلين، والتأكيد الجازم على خطورة شيوع الحيل المحرمة، وما تودي به من كدر في الصفو، وعطب في النية والمقصد، وهي وإن تقالَّها ثلة من الناس، فإن هذا لا يهوِّن من شأنها، فإن القليل بالقليل يكثر، وإن الصفاء بالقذى ليكدر.

اللهم صل على محمد ......

* * *

من يرد الحوض

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا إله إلا هو المتوحدُ في الجلال بكمال الجمال تعظيمًا وتكبيرًا، المنفردُ بتعريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرًا وتدبيرًا، سبحانه لا يُحاط بشيء من علمه إلا بما شاء، لا تواري منه سماءٌ سماء، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء البررة، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

أما بعد:

فإن الوصية المبذولة لي ولكم عباد الله، هي تقوى الله سبحانه، في السر والعلن، في الرغبة والرهبة، في الغضب والرضا، إنما يتقبل الله من المتقين،

الذين تدفعهم تقواهم إلى تقديم مرضاة ربهم على رضاء خلقه وعبيده.

أيها الناس:

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على عباده بفصول أربعة، يتقلب فيها الزمن، على حرٍّ مصيف، ويُبْس خريف، وبرد شتاء، وحسن ربيع، وجعل لكل فصلٍ من هذه الفصول حكمة، يرعوي إليها من به ادكّار فهل من مدكر؟!

في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين؛ نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشدُّ ما تجدون من الحر من سموم جهنم، وأشدُّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم**».

ولقد جعل الله سبحانه أشياء كثيرة تذكر بالنار ولهيبها، كالأماكن المفرطة في الحر أو البرد، فبردها يقرقف، ويذكر بزمهرير جهنم، وحرها يأخذ بالأنفاس ويذكر بحر جهنم وسمومها، قال الحسن البصري: «كل برد أهلك شيئًا فهو من نَفَس جهنم، وكل حر أهلك شيئًا فهو من نفس جهنم»، وقال قتادة في معرض هذا: هل لكم بذلك يدان أم لكم عليه صبر؟ طاعة الله ورسوله أهونُ عليكم يا قوم، فأطيعوا الله ورسوله ﷺ.

أنسيت لظى عند ارتكابك للهوى وأنت توقى حرَّ شمس الهواجر

أيها المسلمون:

إن الله جل وعلا سيحشر الأموات جميعًا، من قبورهم بعد البعث إلى الموقف حفاة عراة غرلا، كما بدأ أول خلق يعيده: ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٧] يَجمعُ الناسَ في عرصات القيامة، أولهم وآخرهم

على صعيد واحد، فيموج بعضهم في بعض، وتدنو الشمس منهم حتى تكون كمقدار ميل، فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فمنهم من يبلغ به العرقُ إلى كعبيه، ومنهم من إلى ركبتيه، ومنهم من إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، فيكون الناس أحوج ما يكونون إلى ما يروون به غليلَهم، ويُشفون عليلهم، أحوج ما يكونون إلى ما يقطعون به ظمأ الهاجرة، وغُصة الحشر المهول، إنهم يا رعاكم الله يطمعون في ورود حوض نبيهم ﷺ، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر]، قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون ما الكوثر؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في ا لجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة...**» الحديث، رواه أحمد.

إننا بحاجة ماسة عباد الله إلى أن نلبث مليًا حول هذه النعمة المسداة المنصوبة في عرصات القيامة، لنأخذ منها دروسًا وعبرًا، علّها أن توقظ غافلنا، وأن تبصّر جاهلنا، بأنه لا عيش إلا عيش أهل الآخرة، إنا لنعمى مرات والعيون ناظرة، فالله مولانا ونعم المولى، وقل لمن يعصيه أولى أولى، ما هوٍ إلا عفوه وحلمه، سبحان من لا حكم إلا حكمه.

جاء عند مسلم في صحيحه: «**أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة**». الحوض عباد الله قبل الصراط، عند وجود الناس في المحشر، يرده المؤمنون ويذادُ عنه الكافرون، طوله شهر، وعرضه شهر، كما بين المدينة وصنعاء، ماؤه أبيضُ من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء في عددها ونورها ولمعانها، وهو أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا، يصب فيه نهر الكوثر الذي حافتاه قباب

الدر المجوَّف، وطينه مسك أذفر، وهو موجود الآن لقوله ﷺ : «**وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن**» رواه البخاري.

كل هذه الصفات عباد الله صحّ بها الخبر عن الصادق المصدوق في الصحيحين وغيرهما مما يوجب الإيمان به والطمع في وروده، بيد أن ثمة قضية تحتاج إلى إمعان النظر فيها، والصدق مع الله في طرحها، والأخذ بأسباب التوقي من أن يكون مسلم ما في عداد الملتاثين فيها، ألا وهي ما يقع يوم القيامة من المفاجآت في أناس يطمعون أن يكونوا ممن يرد حوض نبيهم، فإذا هم يذادون عنه ويحرمون النهلَ منه، بل إنهم بذلك يفقدون مفتاح الجنة، وهو الشرب من هذا الحوض، قال رسول الله ﷺ : «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**» رواه البخاري.

والنكتة اللطيفة عباد الله أنه ﷺ ذكر الحوض قبل التحذير الذي بعده، ليشير إلى التخويف من فعل ما يقتضي الإبعاد عن الحوض.

وجاء عن البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**إني على الحوض، حتى أنظر من يردُ عليّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب، منّي ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**» وكان ابن أبي مليكة راوي الحديث يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن في ديننا.

وجاء عند مسلم في صحيحه أنه ﷺ قال: «**إني لأذود عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبةُ عن الإبل**»، والمعنى عباد الله أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض.

أيها المسلمون :

إن الأمة الإسلامية لهي في أشد الحاجة إلى أن ترد حوض نبيها، وإن هذه الأجيال المتأخرة ليُخشى عليها من ظلمات لا يجد فيها الحاذقُ بصيص نور يهتدي به إلى سواء الصراط، أو يخلصُ به من ضلاله، وإن الإحداث والتَغيير الذي دبّ في صفوف المسلمين لهو خير شاهد على هذه القضية، ونحن اليومَ معاشر المسلمين نعيش معركة حامية مع الازدواجية في كثير من أجوائنا الحياتية - إلا من رحم الله - يُجمع بين الحق والباطل، والصحيح والضعيف، والزين والشين.

ولعل الازدواجية الصحافية في مثل هذه الأيام هي مقبض الرحى في كثير من الأقطار الإسلامية والعربية، والتي اندلعت نارها وطار في كثير من أرض الإسلام شرارها، لقد أهملت كثير من الأقلام، فلم تسخّر للإسلام، بل ما فتئ بعضها يلهو ويلعب ويسخر، وكأنه مدافع الأعياد، تتفجر بالبارود الكاذب، وسط مجتمعات مقرومة مجعومة، يتيه فيها اللبيب، وإن تعجبوا عباد الله فعجب أن يكون الاسم الصحافي مسلمًا، وما يخطه البنان غريبًا كل الغرابة عنه، أين تلك الأقلام، تدل الناس على ما يحفظ لهم دينهم ويحصي كيانهم، وتحذرهم من شرور الكفرة الحاقدين، وتقيم لهم الميزان العادل، فيرجعون عقلاء مميزين، يعرفون ما يأخذون وما يذرون.

واخجلتاه!! من أقلام محسوبة على المسلمين يموت فيهم العالم، وتبلى الأمة ببلايا ورزايا ثم لا تكتب فيها حرفًا، بل هذا زاهد في حق هذا، وهذا فيه أزهد منه فيه، لقد شغلها عنها شواغل الصبيان في الأوحال، ومباهج أحلام شبابهم، وملذّات الغرام التي يسمونها حتى في حال الوفاة

«أسطورية» أيًا كان هذا المتوفى رجلاً أو امرأة، كافرًا أو ملحدًا، بغيًا أو خبيث الطبع.

إن مثل هذه المشاعر الصحافية في تضخيم وفاة ما، نفسها أو أحرّ منها، موجودة عند رواد الصحافة، وعشاق الورق في بلاد الإسلام وللأسف، وهي مشاعر يأباها الدين جملة وتفصيلاً، ما دامت توهن إيمان المرء بالله وترده إلى غيره من الأحياء أو الأموات، ويالله، كم يحزننا أن يكون قلب امرئ ما فارغًا من الله، مملوءًا بغيره ممن بقوا أو هلكوا.

إن الانسياق مع مثل هذا جرم، وإحسان الحديث عنه زور، وإذا حكم ذوقهم على المرء بأنه حلو أو بالعكس فهو مدلس مخوف، هو وأمثاله كشجرة «الدلفى» تعجب من رآها وتقتل من أكلها، وما محبوهم إلا أنوف أزكمها الغبار، فاستوت عندها الروائح، أو جسوم تندت ولم ينزع مبلولها فما هي إلا الحمى ما منها بد.

عن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب وقال: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**» رواه أحمد وابن أبي شيبة.

فالعجب عباد الله ممن يعلم خطورة الركون إلى غير الإسلام، أو ميل القلب أو العاطفة، مع أحياء غير المسلمين أو أمواتهم، مهما كانت الظروف التي تحيط بهم، ودوافع الرغبة أو الرهبة، التي تنبعث من قبلهم، فإن ذلك

كله لا يسوغ تحبير الأقلام فيهم، ولا خلع الجلباب الساتر، والانتماء الزائف، مهما نَعَقَ الناعقون، فإن لهذه الشخصية أعمالاً خيِّرة، بل وإن بلغ التجرؤ ببعضهم من وصف مثل هذه الشخصية بأنها طبقت الإسلام وإن لم تكن مسلمة، في صحافة المسلمين المتنوعة.

وما علم مَن جهله مركب أن عملاً ما بلا إسلام مهما كان خيراً، فلن ينفع صاحبه في أخراه، يقول الله جل وعلا في حق الكافرين: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [النور: ٣٩].

قدم أبو سفيان رضي الله عنه المدينة قبل أن يسلم، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبتِ به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس.

هكذا فعلت أم المؤمنين في أبيها بكلمة حق، خرقت بها مثلاً عربيًا: كل فتاة بأبيها معجبة، ما دام أن الإيمان لم يخامر قلبه، وكلمة التوحيد لم ينطق بها لسانه.

ألا فاعلموا رحمكم الله أن رسالة المصطفى ﷺ كفراشه، فمن أجلس عليه من ليس من دينه فلن يرد حوض النبي ﷺ: ﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ**

أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ [المجادلة: ٢٢].

اللهم ارزقنا شفاعة نبيك ﷺ، وأوردنا حوضه، واسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا يا رحمن.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، ثم اعلموا أن بعض أهل البدع أنكر حوض النبي ﷺ ممن عرفوا بالمكابرة بعقولهم أمام نصوص الشارع الحكيم، فجعلوا آراءهم مقدمة عليها، فما وافق العقل منها قبلوه، وما لا فلا، وهذه بلية كبرى اتسع نطاقها في بقاع شتى من أراضي المسلمين، يُعرفون باسم أهل الفكر المستنير، أو العقلانيين الذين يُخضعون نصوص الشريعة لعقولهم لا العكس، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى جملة ممن خالفوا الوحي بآرائهم وعقولهم، فكان من أهمهم ثلاثة أصناف:

صنف عارضوا الوحي والأخبار بعقولهم، فقالوا لأهل الشريعة: لنا العقل ولكم الشرع، فجعلوا أهل الأرض اثنين، ذا عقل بلا دين، وآخر ديِّنًا لا عقل له، وعلى هذا ثلةٌ ممن اغترفوا من حضارة الغرب وفلسفاتها، ورضعوا من أثدائها حتى أنشزت عظامهم وأنبتت لحومهم.

والصنف الثاني: قالوا: لكم الشريعة، ولنا الحقيقة والأذواق، وهؤلاء هم أهل التصوف الذين لا يعتمدون على الوحي الصحيح.

وصنف ثالث: خالفوا الوحي بسياساتهم، فقالوا لأصحاب الشريعة: لكم الشريعة ولنا السياسة، والتي يعبر عنها آخرون بفصل الدين عن

الدولة، أو دع ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، أو بعبارة أخرى : الدين لله والوطن للجميع .

فهذه الأصناف عباد الله كلها، ممن لن يرد حوض نبينا ﷺ ، وليس له إلا الحميم والغساق، وآخر من شكله أزواج، إلا أن يتداركهم الله برحمة منه وفضل، ويكونوا من المؤمنين المصلحين، البعيدين كل البعد عن الشح المطاع، والهوى المتبع، وإعجاب ذي الرأي برأيه، استجابة لقول النبي ﷺ : «**إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض**» رواه البخاري .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .....

* * *

بئست العجلة

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم الخبير، يحكم بالعدل، ويمن بالفضل، والله ذو الفضل العظيم، علم القرآن، وخلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، طهر الإنسانية وزكاها، وفضلها على من خلق تفضيلاً، جعل لها سبيلاً واحدًا لا سبلاً، وصراطًا واحدًا لا صرطًا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من أدب، وأفضل من هذّب، قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم.

أما بعد:

فيأيها الناس اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا طريق المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى ﴿وَإِن

مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

أيها المسلمون:

إن البواعث التي تسوق المرء إلى عمل ما، وتدفعُهُ إلى خوض غمار الحياة بظروفها الواقعة، لهي كثيرة متباينة، يبينُ لتباينها مواقف أهل الاحتكاك بها، فتكون نفوسهم إحدى نفسين؛ إما نفس عجلة تثير الفوضى في المنظوم المحكم، وإما نفس متأنية متئدة، يُشرق نبلها من داخلها، فتحسن التصرف وسط الأعاصير.

ومن المقررات التي لا ينبغي أن تُجهل أو يتجاهلَ عنها، أن تكرار المواقف واستحكامها، وترادف الضوائق والعلائق وتعقد حبالها، ليس لها إلا التأني وحده بعد الله سبحانه؛ إذ هو عاصم بأمر الله من التخبط، وواقٍ من القنوط في الوقت نفسه.

ولابد للمرء في حياته أن يبني أعماله وآماله على ذلك، وإلا كان هازلاً، تاركًا حظوظ العجلة أن تصنع له شيئًا ما، أو تبديَ له من التدبير ما قصّر هو في تدبيره لنفسه، فإن هناك أقوامًا يجعلون من اللجوء إلى العجلة ستارًا يواري تفريطهم المعيب، وضيق عطنهم الذميم، وهذا في الحقيقة التواءٌ يعلِّق القلب بالريب، ويطيش العقول عند الكرب، فلا يجلب لهم إلا المعرّة، وإلا العودَ بالألم فيما طلبوا منه السلامة، وبالنصب والأرق فيما رجوا منه الراحة، وذلك كله مما كرهه لنا الدين الحنيف، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»، وقال ﷺ: «**من يحرمِ الرفقَ يحرمِ الخير كله**» رواهما مسلم في صحيحه.

العجلة عباد الله: هي داء المجتمعات في القديم والحديث، كما أنها ثغرة ضخمة في إنسانية المرء، وهي بالتالي إذا تبدت فيه كانت ثلمة في إيمانه وحسن تدبيره!

العجلة أيها الناس: هي فعل الشيء قبل أوانه اللائق به، وهي بذلك تكون من مقتضيات الشهوة البغيضة، لخروجها عن إطارها المشروع لها، يقول الله جل وعلا: ﴿ وَيَدْعُ الإنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء: ١١]، ويقول جلّ شأنه: ﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه: ١١٤]، ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ [القيامة: ١٦]، لقد جاء لفظ العجلة في القرآن متصرفًا، في سبعة وثلاثين موضعًا، كلها على سبيل الذم إلا موضعًا واحدًا وهو قوله جل وعلاَ: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

أيها الناس:

إننا لنجد أن هذه العجلة المذمومة بادية في كثير من أعمالنا وتصرفاتنا، نجدُها في الحكم على الأشخاص قبل البحث والتحري، وفي سوء الظن قبل التثبت واليقين، وفي الغضب والاستجابة لثورة النفس المؤدية إلى الوقوع في المحذور، فيستحمقُ المرء على عجل، ويكون لسانه وفعله قبلَ قلبه وعقله، فلا يزمُّ نفسه ولا يتريث، بل يهذي بكلام، ويوكسُ ويشططُ في أفعال يحتاج بعدها إلى اعتذار طويل، وتلفيق لافت، فيقع فيما نهى عنه النبي ﷺ بقوله: «**ولا تكلم بكلام تعتذرُ منه غدًا**» رواه أحمد وابن ماجه.

ونقل أبو حاتم البُستي رحمه الله أن أعرابيًا شهد شهادة عند أحد السلف فقال: كذبت، فقال الأعرابي: إن الكاذب للمتزمل في ثيابك، فقال

الرجل: هذا جزاء من يعجل.

ولربما لم تفلح المعاذير، ولم تُرقّع الفتوق، كل ذلك لعجلة لحظة كانت كبرق، وبخاصة ما يثير الخصومة ويعجل الطلاق، حتى عُدّ يمينًا عند الرعاع، وضربًا من اللغو يُنقض به كثير من عرى الزوجية، فيقع الندم، ولات ساعة مندم، ويسبق السيف العذْلَ، ولكل شيء في الحياة وقته، وغاية المستعجلين فوته، والقاعدة المشهورة: «من تعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه».

العجلة عباد الله قد تكون في أداء الواجب دون إحكام وإتقان، حتى لقد بدت بعض الأعمال المؤداة وكأنها في صورة آلية، لا يتلبث أهلها ليجيدوا، ولا يتأنون ليتقنوا، وكأنهم بداخل أغلال أو أطواق، يحاولون في سرعة بالغة وعجلة مقيتة أن ينطلقوا منها، بل تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، حتى إلى علاقة المرء بخالقه ومولاه، في جوانب العبادة والمسألة، فترى المرء يعجل في وضوئه فلا يسبغه، ولربما بدا من عقبه أو نحوه ما لم يصل إليه الماء، فيقع في وعيد النبي ﷺ بقوله: «**ويل للأعقاب من النار**» متفق على صحته.

كما أنكم عباد الله: قد ترون المرء يعجل في صلاته، فلا يطمئن في ركوعه ولا سجوده، يسرع في الحركات ولا يتلبث، وكأنه أثلة في أرض هش، ويغيب عن وعيه قول أبي هريرة رضي الله عنه: «نهاني رسول الله ﷺ عن ثلاث...» وذكر منها: «عن نقرة كنقرة الديك» أي في صلاته. رواه أحمد.

ولربما طغت العجلة على المرء حتى في اللحظات الحرجة التي يناجي فيها ربه ويدعوه متضرعًا إليه، فيفقد بسبب ذلك الاستجابة التي دعا الله من أجلها، جرّاء ما استعجل، غير آبه بقول النبي ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجبّ لي**» رواه البخاري ومسلم.

فلينتبه لهذا الأمر، أهل الضوائق والبلاء، أو الحوائج والأمراض، الذين يتعجلون الله في أدعيتهم، أو رقاهم، أو نحوها، فإن الاستجابة موكلةٌ بالأناة والصبر، التي ينسلخ المرء بها من الضجر والتبرم، ويقف في أرض الله أوّابًا يرجو رحمته ويخاف عذابه، فلا يضيره ما فقد، ولا يحزنه ما قدم.

إن المرء المسلم عندما يكون يقظ الفكر على هبوب الأخطار والمخاوف، وعندما يظل رابط الجأش، يُقلِّب وجوه الرأي هنا وهناك، ابتغاءَ مخلص مما عراه، فإن النجاح لن يُخلفَه بإذن الله تعالى؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**إنّما الصبر عند الصدمة الأولى**» رواه البخاري ومسلم.

فالواجب على العاقل عباد الله أن يلزم التأني في الأمور كلها، والاعتدال في الحالات المتضاربة، وترك العجلة والخفة فيها؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما لم تصلحه الأناة لن تصلحه العجلةُ، ففي ترك الأناة يكون الخُرق، وفي لزوم الخُرق تُخاف الهلكة، وذو التثبت حاله من حمد إلى ظفر، فمن يركب الأناة لا يستحقب الزلل، ولو سار ألفُ مدبجٍ في حاجة لم يقضها إلا الذي يتأنى؛ فالمتأني الحذق لا يكاد يُسبق، كما أنّ العجل الترِق لا يكاد يلحق، وما أحسن ما قيل في الصدّيق رضي الله عنه:

من لي بمثل مشيك المدلل　　　تمشي رويدًا وتجي في الأول

وخلال العجل عباد الله: أنه يقول قبل أن يعلم، ويُجيبُ قبل أن يفهم، ويحمدُ قبل أن يجرِّب، ويذمُّ بعدما يحمد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم. العجل تصحبه الندامة، وتقذله السلامة، ولقد كانت العرب في القديم تكني العجلة «أمَّ الندامات»، والمثل السائد: «في التأني السلامة،

وفي العجلة الندامة».

فقد يدرك المتأني جلّ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال المهلب بن أبي صفرة: «أناة في عواقبها درك، خير من عجلة في عواقبها فوْت».

إن التأني مع الصبر سبب في التحصيل المتكامل في شتى شئون الحياة، بدءًا من العلم والتعلم، وانتقالاً إلى التربية والتكوين، والكسب والتكسب، فيما أحلّ الله وأباح، فليس المرء يولد عالمًا غنيًا حليمًا، وإنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، والغنى بالتكسب:

وإن القليل بالقليل يكثر كذا الصفاء بالقذا ليكدر

ألا وإن بروز العجلة في هذا الميدان لهو المؤذنُ بالفشل الذريع، وكثرة الفتوق، والقنوط من التكامل، ولقد ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله أن رجلاً من أهل العلَم كانت له مدارسات وتلمذة، فتباطأ تحصيله، وأيس من حصوله، فترك العلم، وخرج مرة فإذا هو بماء يصب فوق صخرة وقد أثّر فيها، فقال: سبحان الله! هذا الماء على لطافته أثّر في هذه الصخرة على كثافتها، فلا والله، ليس العلم بألطف من هذا الماء، وليس عقلي بأثخنَ من هذه الصخرة، فعاد إلى العلم والتعلم حتى أصبح من كبار المحدثين الحفاظ.

اليوم علم وغدًا مثله من نخب العلم التي تلتقط
يحصل المرء بها حكمة وإنما السيل اجتماع النقط

فاتقوا الله معاشر المسلمين، وعليكم بالتؤدة والتأني تفلحوا، وإياكم والعجلة؛ فليست من هدي النبي ﷺ ولا هي من شأنه، فما علينا إلا الأناة

والانضباطُ في الأعمال، وعدمُ النظر إلى الثمرة فقد تطول، فهذا رسول الله ﷺ يعد سراقة بن مالك بسواري كسرى، ولم يلمسهما إلا في عهد الفاروق رضي الله عنه؛ لأن المؤمَّلَ غيب، وليس لنا إلا الساعة التي نحن فيها، وإن غداً لناظره قريب.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، ثم اعلموا أن من الناس من لا يحسن التؤدة والأناة، كما أنه بعيد الإتقان لمواطن العجلة المحمودة، فلا هو من أهل الأناة فيحمد، ولا أحسن مواضع العجلة فيشكر؛ حيث يبلغ في البطء غايته، ويصل في العجلة مزلتها، فيصير مثل فند مضربًا للمثل؛ حيث كان مولىً لإحدى نساء التابعين، فأرسلته مرة يحتَطِّب، فرأى قافلة تسير إلى مصر، فارتحل معهم، ثم عاد بعد سنة، وتذكر الاحتطاب، فعَجل حتى تعثر على الأرض ثم قال: بئست العجلة، فصار مثلاً مضروبًا حتى قِيل فيه: ذاك فندٌ أرسلوه قابسًا فثوى حولاً وسب العجلة، وأمثال هذا كثير ممن يسيرون في أعمالهم على عادة قبيحة، يقول أصحابها: لا تؤخر إلى الغد ما تستطيعُ أن تفعله بعد غد.

والدين الإسلامي عباد الله دينُ وسط، لا يرضى بالإفراط ولا التفريط، ولا المغالاة ولا المجافاة، والنظرة الشرعية للعجلة هي نظرة عادلة، كرهها الإسلام في مواضع، وندب إليها في مواضع أخرى، فكما أن التأني مندوب إليه في ظروف تليق به، فإن ظروفًا أخرى تليق هي بالعجلة،

والعجلة لا تليق إلا بها :

وربما فات قومًا جلّ مطلبهم　　　من التأني وكان الأمر لو عجلوا

وليس معنى تنفير الإسلام من العجلة أنه يريد أن يعلّم أتباعه البطء في الحركة، أو الضعف في الإنتاج، أو التماوت في العمل، والكسل في أداء الواجبات، كيف ورسول الله ﷺ يقول: **«بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنىً مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أوموتًا مجهزًا، أو الدجالَ، فشر غائب ينتظر، أو الساعةَ، فالساعةُ أدهى وأمرّ»** رواه الترمذي، ويقول ﷺ : **«ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبةٌ عنده»** رواه البخاري ومسلم.

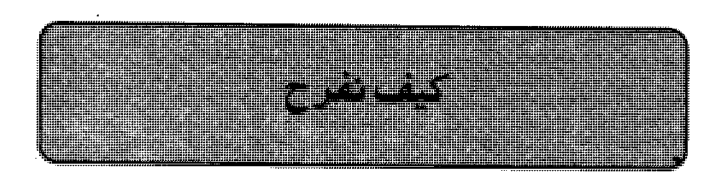
ومن هذا المنطلق عباد الله، كان ثمّ أمورٌ ومواقف تتطلب من التصرف الحازم والعمل السريع، ما لا يناسبه التأجيل والتسويف، مثل العجلة في اغتنام الأوقات، وترك التسويف فيها، وكذا التعجيل بالفطور للصائم، وتعجّل المسافر إلى أهله، إذا قضى نهمته، وكذا صد الشر الظاهر، وإغاثة الملهوف، والنصح لله ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعدم تأخير البيان عن وقت حاجته، فيما للمسلمين فيه حاجة؛ كبيان حق وإبطال باطل، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وكذا الواجبات الموقوتة بوقت محدود، يقول ﷺ : **«التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»** رواه أبو داود.

ويتأكد أمر العجلة بشدة في وجوب الأخذ بالحق إذا ظهر، وعدم التواني في قبوله، وترك التسويف المودي إلى تركه ومجانبته، والبعد كل البعد عن التعليلات أو التبريرات التي يُدَّعى أنها مسوغ لتركه أو تأجيله :
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ

وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] والمعاذير التي يقدمها المرء في تأجيل الحق أو رده، مهما بلغت ، ما هي إلا أوهام وخيوط، أو هي من نسج العنكبوت، فإذا كنت أيها المرء ممن يؤذيك حر المصيف، ويُبْس الخريف وبرد الشتاء، ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للحق قل لي متى.

اللهم صل على محمد. . .

* * *



الخطبة الأولى

الحمد لله على تقديره، وحسن ما صرف من أموره، نحمده سبحانه بحسن صنعه، شكرًا على إعطائه ومنعه، يخير للعبد وإن لم يشكره، ويستر الجهل على من يظهره، خوّف من يجهل من عقابه، وأطمع العامل في ثوابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خيرُ من يُدعى لدى الشدائد، ومن له الذكرُ مع المحامد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، قضى بالحق وبه عدل، ربَّى فصقل، ووعد ففعل، اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر صحابة نبيك محمد، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله سبحانه، فاتقوه وراقبوه، وأخلصوا له في السر والعلن، وتزودوا في طاعته، فإن خير الزاد التقوى.

أيها الناس:

يقول الله جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، ويقول جل شأنه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ألا فاعلموا عباد الله، أن الآيات العظام، التي أودعها الله جل وعلا أنفسَ بني آدم، لهي كثيرة حقًا، يعزُّ على اللبيب حصرُها، ويَعْيَ المتحدث سردُها، ولو كلف المرء نفسه مرةً في أن يستخلص بعضًا، مما يثير الإعجاب في هذا التكوين، لوجد أن من اللافت حقًا ما يكمن في نفسه التي بين جنبيه من الأضداد المزدوجة، والعكوسات المتقابلة، والتي تكيف نفسَهَا بقدر من الله وحكمة، في التعامل مع الأحداث والمواقف، ولوجد المرء نفسه بين خلايا من الشعور اللا إرادي، الذي فطر الله الناس على أصله وقاعدته، ويبدو ذلك بوضوح في مثل الضحك والبكاء، والقوة والضعف، والرغبة والرهبة، والذلة والعزة، والخوف والرجاء، والحزن والفرح، والغضب والرضا.

كل ذلك عباد الله يجتمع في النفس الواحدة في غير ذهول ولا جنون، وإنما هي خلال جبلية أودعها الله النفس البشرية ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

عباد الله:

إننا بحاجة ملحة إلى أن نلقي الضوء قليلاً في عدل وإنصاف، ومن منطلق النصح والتوجيه على واحد من تلك الأضداد الآنف ذكرُها، ألا وهو الفرح، الفرح الذي يكون في مقابلة الحزن والكآبة، الفرح الذي هو لذة في القلب بسبب الحصول على أمر محبوب، وانشراح في الصدور عند بلوغ مقصد مطلوب أنسًا بما يسرُّ، والذي يُترجَمُ عنه في الجوارح بالابتسامة حينًا، أو بأسارير الوجه حينًا آخر، ولربما غلبت العاطفةُ نفسَ الفَرِح، فكان

من فرط ما قد سرّه أبكاه.

إن الله عز وجل بقسطه وعدله، جعل الفرح والرَّوْح في الرضا واليقين، وجعل الغمّ والحزنَ في السخط والشك، فالساخط والشاك لا يذوق للفرح طعمًا، ولا يرى له طيفًا؛ لأن الساخط العيش، كثير الطيش، بل إن حياته كلها سواد ممتد، وليل حالك لا يعقبه نهار، إلا بفضل من الله ومنّ، فهو دائم الكآبة، ضيقٌ بالناس، ضيق بنفسه، كأن الدنيا في عينه سمُّ الخياط حتى يكون حرضًا أو يكون من الهالكين. قال ابن القيم رحمه الله: ثمرة الرضا: الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى.

الفرح أيها المسلمون صفة كمال في البشر، وهو قبل ذلك صفة لله جل وعلا تليق بجلاله سبحانه، وهي في منتهى الكمال، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده، من أحدكم كان على راحلة بأرضٍ فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح**».

إن لفرح الله بتوبة عبده شأنًا لا ينبغي لأحد أن يهمله ويُعرضَ عنه، بل إن من عرف ذلك فهو الموفق الذي يغبط؛ إذ لا يتنبه لمثل هذا إلاَ من له معرفة بالله وأسمائه وصفاته وما يليق بالباري جل ذكره، ومثل هذا الحديث قد تقصُر عنه أفهام بعض بني الزمان، لضعف عقولهم وعلومهم عن احتماله، إبان نقص في العلم، وجنوح غير يسير عن تربية المرء على التعلق بالله سبحانه، غير أننا نقول كما قال ابن القيم رحمه الله: إن الله عز وجل

سيسوق هذه البضاعة إلى تجارها، ومن هو عارف بقدرها، وإن وقعت في الطريق بيد من ليس عارفًا بها، فربّ حاملِ فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

أيها المسلمون:

إن المقاصد الكثيرة للفرح برمّتها، منها ما هو شريف ومنها غيرُ الشريف، والإسلام بشرعته ومنهاجه يحرض أتباعه في كل حين على أن يفرحوا بما يُحمد ويشكر، من الأمور والأعمال، الظاهرة والباطنة، ولأجل ذا نهاهم عن أن يفرحوا بزخرف الدنيا، ومتاع الحياة الزائل، أو يفرحوا للسطوة في الأرض بغير الحق، أو يفرحوا فرح الاعتزاز أو الافتخار الكاذب: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

الفرح عباد الله: شأنه شأن الوعاء، الحكم عليه مبني على ما يكون فيه من المادة الداعية إليه، فالفرح إنما يكون محمودًا حينما تجده في مقابل نعمة التوفيق لطاعة من الطاعات، أو قربة من القربات، أو كفرحة المجاهد الذي قهر شهواته وقاوم رغباته، أو كانتصار ما يحبه الله على ما لا يحبه، وكذا دفع الحق للباطل فإذا هو زاهق: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

وإن للمسلمين طرًا، الحق كل الحق، في أن يبتهجوا ويفرحوا، إذا نالوا نعمة خالصة أو حققوا أمنية خالية من شوائب الحظوظ العاجلة، في دينهم ودنياهم، مما يضر ولا ينفع، ولكنهم يفرحون إذا فرحوا فرح الأقوياء الأتقياء، وهم في الوقت نفسه لا يبغون ولا يزيغون، ولا ينحرفون عن

الصواب ولا يتعسفون، ناهيكم عن كونهم يعمرون فرحتهم بذكر ربهم، الذي أتم عليهم نعمته، ورزقهم من الطيبات، وهيأ لهم في كونه كثيرًا من أسباب البهجة والسرور، بل ولربما تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، حتى إلى مقابلة الابتلاء والامتحان بالفرح، لما يفضي إليه من محوٍ للسيئات ورفع للدرجات.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فوضعت يدي عليه فوجدت حرّه بين يديّ فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله، ما أشدها عليك!! قال: «**إنا كذلك، يضعَّفُ لنا البلاء، ويضعف لنا الأجر**» قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**،» قلت: يا رسول الله، ثم من؟ قال: «**ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجدُ أحدهم إلا العباءة يحوِّيها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**» رواه ابن ماجه بسند صحيح.

الفرح المحمود عباد الله: يُترجِمُ في الواقع، ماتحمله في طيات نفسك لأخيك المسلم، فتفرح لفرحه، وتَسر لوصول النعمة إليه، ضف إلى ذلك الفرح حينما يُسلم عبدٌ أو يتوب عاصٍ، كما فرح الصحابة رضي الله عنهم بإسلام الفاروق رضي الله عنه أو غيره من الصحابة، لا الازدراءَ والمحق الموجهين تجاه من يتمسك بدينه، ويعتز بكونه من ركاب الصالحين والطائفة الناجية المنصورة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله: إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى

عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم اهد أم أبي هريرة**» فخرجتُ مستبشراً بدعوة النبي ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا مُجافٌ، فسَمِعَتْ أمي خشْف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الَماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلتْ عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً . . . الحديث، رواه مسلم في صحيحه.

الفرح المحمود يا رعاكم الله، في مثل فرح الصائم بفطره الذي عناه المصطفى ﷺ بقوله: «**للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**» رواه البخاري ومسلم.

الفرح المحمود فرح المؤمن بشريعة ربه وأمره ونهيه، وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله، بل يفرح أشد الفرح إن كان ممن عناهم الله بقوله: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٥١]، أو ممن قال الله فيهم: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ..**﴾ [الرعد: ٣٦] ففي هاتين الآيتين دعوة محضة للارتقاء بفرح القلب بالإسلام، ومجيء المصطفى ﷺ ، خلافًا لمن يشرق بها، أو يشاكُ فينتقش: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

روى ابن أبي حاتم بسنده: لما قدم خراج العراق إلى عمر رضي الله عنه،

خرج عمر ومولى له، فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله تعالى، ويقول مولاه: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت، ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهذا مما يجمعون.

أراد الفاروق رضي الله عنه أن الفرح بالقرآن الذي هو شفاء وموعظة خير مما يجمعون من حطام هذه الدنيا من الخراج ونحوه؛ فإنه ليس بموضع للفرح؛ لأنه عرضة للآفات، ووشيك الزوال، كما أن فرح الدنيا لا يسلم من ترحٍ سابق، أو مقارن، أو لاحق، يجعل الفرح كطيف خيال، زار صبًا في المنام، ثم انقضى المنام وولّى الطيف. وقيل في الحكمة: أمرُّ ما في أحزان يومنا ذكرى أفراح أمسنا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ سيد البشر، والشافع المشفع في المحشر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته السادة الغرر.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، ثم اعلموا رحمكم الله: أن الجانب الآخر من جانبي الفرح، هو الفرح المذموم، وهو الذي يورث الأشر والبطر، وهو ما كان ناتجًا عن الغفلة والخواء، وقد ذكر بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] أن الشيطان الوَسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

والشخص المكثر من الفرح بإفراط، مما هو من متاع الدنيا وزخرفها هو المعنيُّ بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] وليس من شأن المسلم أن يكون مفراحًا إلى درجة الإسراف؛ إذ ما من شيء من أمور الدنيا إلا والإسراف يشينه، كما أن الاعتدال يزينه، إلا عمل الخير، ولذلك قيل: «لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير»

ومن هذا المنطلق، فإن الإسراف في الفرح، سواء كان في الأعراس أو شبيهها، مدعاة للخروج عن المقصود، بل ولربما أدى إلى وقوعٍ فيما لا يرضي الله من معاصٍ، أو ضجيجٍ وأهازيج، تقلق الذاكر، وتنغص الشاكر، وقد سمعتم عباد الله الحديث الدال على أن شدة الفرح مدعاة للوقوع في الخطأ، كما في قصة صاحب الراحلة حين قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»، ناهيكم عباد الله عن ذم الفرح بالمعصية والمجاهرة بها، والافتخار في نشرها، أو السرور بالألقاب والمدائح لفاعليها، ووصفهم بالتحرر أو التنور بما يصيغونها فيه، على هيئة مقالات أو روائيات، على حين فترة من التذكير، يقول النبي ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**» رواه البخاري.

ومن الطوام العظام في الفرح المذموم، فرح المرء بالعمل وإظهاره للناس والتسميع والمراءاة به، ورسول الله ﷺ يقول: «**من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**» رواه البخاري.

ويشتد الأمر خطورة حينما يفرح المرء بما لم يفعل من باب الرياء والتكثر، ففيهم يقول تعالى: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨].

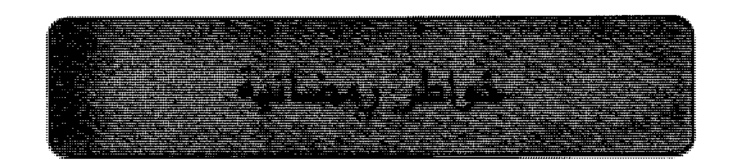
ومثل ذلك في الخطورة: فرح المرء بتقصيره في طاعة الله، أو تخلفه عن ركب الصلاح والاستقامة، وقعوده عن دعوة الداعي، وأمر الآمر ونهي الناهي، ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا**

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[التوبة: ٨١، ٨٢].

اللهم صل على محمد .....

* * *



الخطبة الأولى

الحمد لله الذي دبر الكون بعلمه، وقدر الأمور بحكمته، عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا هو، شهادة عبد يؤمن بعظمته، ويرى آثار قدرته في ملكوته وآياته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، شرفه ربه فجعله خير هداية، وأفضل دعامة، وخاتم أنبيائه، وأقرب أصفيائه، فصلاة ربه عليه وسلامه، وعلى أهل بيته الطيبين، وعلى أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وعلى التابعين لسنته، والمهتدين بهديه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل في كل حال، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصَّكم

بنعمة، وأزال عنكم نقمة، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس:

إن للأمم مع نفوسها غفوةً تعقبها غفوات، وللأفراد المنفردين كما للأمم والشعوب، سواء بسواء، وإذا كانت غفوةُ الفرد تعد بالساعات، فإن غفوة الأمم تعد بالسنين؛ لأن السنة في حياة الأمة تقوم مقام اليوم أو بعضه في حياة فرد من الأفراد.

وفي مقابل ذلك، فإن لبعض النفوس المعتادة لحظات تصفو فيها من كدر، وتَرِقُّ من غلظة، وترقى بمشاعرها وأفكارها إلى جو نقي طهور، لكنها لا تلبث طويلاً حتى تتدنى معظم أوقاتها، وتبدو سويعات السمو عندها وكأنها ألقٌ عارض، يومض ولا يضيء، أو يرعد ولا يمطر، بيد أن ثمة نفوسًا عظيمةً لها مجال أرحبُ مدى، ونهج أرجعُ صدى، قلما تنزل عنه، فهي كالطير الذي ألف الذُرا، لا ينحطُّ دونها إلا لُمامًا.

هكذا الناس عباد الله، فهم بين عامة مغلولين في قيود من مطالبهم اللامحدودة، وربما انفكوا عنها حينًا، وبين خاصة أمكنهم الخلاصُ من معظم هذه القيود، ولا غرو أن يتشبث بعضها بأقدامهم فترهقهم حينًا ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

أيها المسلمون:

لله جلَّ وعلا أن يصطفي بحكمته وعدله من الأيام والشهور مايشاء، ويودع بعض المواسم نفحاتٍ، من تعرض لها واقتبس منها سعُد وفاز، حتى

ينال في الزمن اليسير، أضعاف ما يناله في زمن متكاثر، وإنَّ من أعظم النفحات المخبوءة في الدهر الواحد شهر رمضان المبارك، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فهو على قصر زمنه، إلا أن لأجره عظمًا وكثرة، فمن صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكان ممن يقال لهم: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢٤]. والأيام الخالية هي أيام الصيام، على قول جماعة من المفسرين.

الصيام - يا رعاكم الله -: عبادة مفادها أن يزم المرء نفسه، وأن يحكم هواه، لأجل أن يترك ما يشتهي، ويُقدمَ على ما يكره، ومن ثم يكون تابعًا لأوامر الله لا لرغائب النفس، فيتعلم كيف يترك ولو كان قادرًا على أن يُدرك، وهنا مكمن السر في التباين الظاهر بين الإنسان والعجماوات، وإلا فهو إلى الدواب أدنى؛ ولذا فإن الصوم لم يُنظر إليه على أنه حرمان مؤقت فحسب، بل يُعدُّ خطوة جُلّى إلى حرمان النفس دائمًا من شهواتها المسعورة ونزواتها المنكورة، وتأكيدًا لهذا المعنى يقول ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخاري.

ومن هنا يُعلم أن الصيام امتناع عن أشياء مخصوصة، والامتناع في حقيقته عنصر سلبي لا يراه الناس عادةً، لكنه لا يخفى على علام الغيوب، وهذا في الواقع تفسير لقول الجبار جل وعلا في الحديث القدسي: «**الصوم لي وأنا أجزي به**» رواه البخاري في صحيحه. ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١١٢]. والسائحون - يحفظكم الله - هم الصائمون كما قال مجاهدٌ وغيره.

الصوم ـ أيها الناس ـ: عبادة لا بد منها؛ لترويض النفس على الصبر وتحمل المشاق، وهي في هذه الصورة ليست تعذيبًا جسمانيًا، ولا معركة مبهمةً ضد الجسم، كلا إنما هي التعويد على المكابدة وتحمل العنت، بإحلال الجد محل الهزل، والعمل محل البطالة، والحق محل الباطل، والجهاد محل القعود، والصبر محل الضجر، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، والصبر هنا هو الصوم، وفي الحديث الحسن أن النبي ﷺ قال: «**الصوم نصف الصبر**» رواه الترمذي.

إن رمضان بهذه الصورة فرصة كبرى، ومنحة عظمى للمرء المسلم في أن يطهر نفسه بالنهار، كي يُعدَّها لتلقي هدايات القرآن في قيام الليل ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٤ـ٦]. وناشئة الليل هي أوقاته وساعاته، والمقصود: أن قيام الليل هو أشدُّ مواطأة بين القلب واللسان، وأجمعُ على التلاوة من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش، فكان الصيام في النهار تخلية، والقيام في الليل تحلية، ومن ثم تزكو النفس وتسمو، وتكون مهيأة لأن تكون مجابة الدعوة، ولربما دل على ذلك قوله جل علا بعد آيتي الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أيها المسلمون:

رسول الله ﷺ كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وجوده ﷺ في رمضان ليس بدعًا عن سجية كرمه في كل حين، بل هو جواد في كل زمن وآن، وإنما كان يزداد في رمضان ما لا يزداد في غيره، وقد جاء في الصحيحين: أن النبي ﷺ «ما سئل شيئًا فقال: لا». وهو بذلك

يحبِّب إلى بني الإسلام أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، فيشركوا غيرهم فيما آتاهم الله من فضله، ويجعلوا منه متسعًا، يسعفون به المنكوبين، ويريحون المتعبين، ونتاج هذا التحضيض، لا يسْعَد به الضعاف وحدهم، بل يرتد أمانه واطمئنانه، حتى إلى الباذلين أنفسهم، قال رسول الله ﷺ: «**مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد، من ثديِّهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت على جلده حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كُلُّ حلْقة مكانها، فهو يوسِّعها ولا تتسع**» رواه البخاري ومسلم. وفي رواية أحمد: «**وأما البخيل فإنها لا تزداد عليه إلا استحكامًا**».

والمراد ـ عباد الله ـ: أن الجواد إذا هم بالصدقة؛ انفسح لها صدره، وطابت بها نفسه، فتوسعت في الإنفاق، ولا يضيره الحديد، بل هو يتسع معه؛ لأن الجواهر تحت التراب جواهر، والأسد في قفص الحديد أسود، وأما البخيل، فإذا حدث نفسه بالصدقة، شحت نفسه فضاق صدره، وانقبضت يداه ﴿**هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد: ٣٨].

ألا إن البخل معرة، إذا لصقت بالإنسان أحرجته، وجعلته يعيش في نطاق ضيق لا يرى فيه إلا نفسه، حتى يصيبه سعار الكانز، فلو بدا له المال فوق الثريا، وله ريش لطار إليه، فيهون على نفسه أن يرى شخصًا بالي الثياب، تكادُ فتوقُها تكشف سوأته، أو حافيًا أبلى أديم الأرض كعوبه وأصابعه، أو جائعًا يمد طرفه هنا وهناك، ثم يرده البخل وهو حسير، بمثل هذا يبْلُدُ الشحيح، ويكون للأثَره في نفسه إيحاءٌ شديد؛ أكثر همه في نفسه، وأقله في الآخرين إن وجد، ، بل و على مضض وتخوف، مصحوبين

بعلل شتى، تضع في يديه الإصر والأغلال ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

ألا لو فكر الشحيح في حقيقة ما يملك، وفي عاقبته معه، لرأى السماحة خيرًا من الأثرة، والعطاء أصح من المنع، ولعلم أن بين البشر عامةً رحمًا يجب أن توصل، وألا تمزّقها الفاقة «**يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس**» بذلك صح الخبر عن الصادق المصدوق ﷺ عند مسلم في صحيحه.

جاء إلى النبي ﷺ قوم عراة، مجتابي النمار - أي **مشقوقي الثياب** - عامتهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى، ثم خطب، فكان مما قال: «**ليصدَّقْ رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة**»، فجاءه رجل من الأنصار بُصرة، كادت كفه تعجزُ عنها، ثم تتابع الناس، حتى رؤي وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذْهَبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعد، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» رواه مسلم.

إن هذا الحديث البليغ المنبعث من مشكاة النبوة لهو خير دعوة إلى التنافس في الخير، والتسابق في افتتاح المبرات النافعة، وهو في الوقت نفسه تحذير وتقريع لمرضى الأفئدة، من صناع العوائق المعقدة، والتبريرات السمجة، التي تعقد شؤون الجماعة المسلمة، وتترك من بعدهم يضطرب

في شـرورها ومتـاعبـهـا ، وما من شيء أشق على الشيطان وأبطلُ لكيـده ، وأدحرُ لوسواسه من إخراج الصدقات ، والإعانة عليها من كل طريق ، سواء كـانت فـرديةً ، أو شـخـصيات اعتـباريةً ﴿ الـــشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن مفهوم الصدقة تارةً أعمُّ من أن يكون في المال ، ليستبشر الفقراء وذوو الدخول المحدودة ، حيث إن العمل بالمعروف صدقة ، وكفُّ الشر صدقة ، والإعانة على البر صدقة ، قال رسول الله ﷺ : «**على كل مسلم صدقة**» ، فقـالوا : يا نبي الله ، فمن لم يجد ، قال : «**يعـمل بيده فـينفع نفسه ويتـصدق**» قـالوا : فإن لـم يجد ، قـال : «**يعين ذا الحـاجـة الملهوف**» قالوا : فإن لـم يجد ، قال : «**فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر فـإنهـا له صـدقـة**» رواه البـخـاري ومـسلم . بارك الله لي ولكم في القـرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على طريقهم.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، وإليكم مقولة بعض الحكماء في القديم: اغتنموا الفرص، فإنها تمر مر السحاب. وهذا قول صدق ورشد؛ ذلك أن الفرصة الجيدة إذا ما انتهزت بصورة سوية، صار بها الفوز والنجاح؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: المؤمن وليد وقته، فإما اغتنام الفرص، وإلا النقص والغُصص، والمفرط بين يديه عقبة كؤود ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾ [الروم: ٥٥].

وبعد ـ يا رعاكم الله ـ فإن شهر رمضان المبارك في هذا النطاق، ينبغي أن يكون محضنًا لتربية الأولاد، وزمهم عن سفاسف الأمور، أو عن أن يكونوا أحلاس عبث وصخب، قُعَّدًا بكل صراط، يهوشون ويشوشون، أو يضجون بمكائهم وتصديتهم، ناهيكم عن كون هذه الطرق مأوبات إبليسية، تعلمهم كل بذيء وقبيح من القول والفعل، في خليط من التصرفات اللامسئولة، التي أحسن ما فيها أنها غير حسنة. في حين أن المستقر من مبادئ الإسلام أن هذا الشهر المبارك، مُستَقَر للعبد، يستجم فيه من وعثاء

الكدح، وكآبة الدنيا، بيد أن فئامًا من الناس لا يعرفون كيف يقيمون حدود الله في رمضان؛ ذلك عباد الله، أنهم تواصوا بتجهيل أنفسهم، وازدراء الظهور بالمظهر اللائق في هذا الشهر المبارك خلقًا وسلوكًا، صحافةً وإعلامًا.

فضلاً عن الإجلاب بالخيل والرجل، على ترسيخ مفهوم رمضان في حق المرأة، في أن تكون محلاً لتجارب طهو الطعام، وإجابة الشهوة وتسمين أهل بيتها، والمعدة بيت الداء، وما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه، وحسبها هذا، أو التطواف بالأسواق خراجةً ولاجة، فتزرع بتبرجها دروب الناس ألغامًا، أو ترسيخ مفهوم رمضان، على أنه محل للسهر والسمر، أو موضع للضياع والانحدار، وراء الأفلام الهابطة، أو الروائيات الرخيصة، عبر القنوات المرئية ، **والتي تجعل من رمضان شهرا لمهامه برامج وقحة** يبيد فيها البيد، ويضيع بسببها الذكي والبليد، فلا غرو حينئذ إذا لم يستقم الظل؛ لأن العود أعوج، أيها الناس ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ رحماك يا رب عفوك، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد...

* * *

لكل شِرة فترة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده على ما وفق من الطاعة، وذاد عنه من المعصية، ونسأله لمنته تمامًا، وبحبله اعتصامًا، نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونسأله المعافاة في الدين، كما نسألة المعافاة في البدن، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة إيمان وإيقان، وصدق وإذعان، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصحَ الأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأتقياء الأوفياء، وعلى الصحابة الأبرار، العبَّاد الأطهار، وعلى من سار على طريقهم، واتبع هداهم ما تعاقب الأجدّان الليل والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله سبحانه، فإنها الزمام والقوام، فتمسكوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها، ثم اعلموا أنما أنتم في هذه الدنيا غرضٌ تتناضل فيه المنايا، مع كل جرعةٍ شَرَقٌ، وفي كل أكلةٍ غَصَص، لا

تنالون منها نعمةً إلا بفراق أخرى، ولا يُعمَّرُ معمرٌ منكم يومًا من عمره، إلا بهدم آخرَ من أجله، ولا يحيا له أثرٌ إلا مات له أثرٌ، وقد مضت أصولٌ نحن فروعها، فما بقاءُ فرعٍ بعد ذهاب أصله؟! ألا فلا يستوحشن أحد في طريق الهدى لقلة أهله، فإنَّ الناس قد اجتمعوا على مائدة، شبَعُها قصير، وجوعها طويل، ومن سلك الطريق الواضح دون فتورٍ أو ملَلٍ ورد الماء، ومن خالفَ وقع في التيه.

أيها الناس:

إن شعور المسلم بالاستبشار والغبطة حينما يرى إقبال الناس على الله في رمضان، وما يُقلِّبه من بصره هنا وهناك تجاه أوجه البر والإحسان لدى الكثيرين من أهل الإسلام، ليأخذ العجبُ بلبه كلَّ مأخذ، ولربما غلب السرور مآقي المترقب، فهتن دمعَ الفرح والإعجاب، لما يرى ويشاهد، إلا أن العيد وما يعقبه ليصدق ذلك الظنَ أو يكذِّبه، ومن ثم، يَنْكُصُ المعجب، وتشخص أحداقُه، لما يرى من مظاهر التراجع والكسل والفتور، ومن ثم يوقن، أنه إنما كان مستسمنًا ذا ورم.

وما يشاهده المرء في الأعياد في أقطار شتى، من الفرح اللامشروع، وتجاوز حدود الاعتدال فيه، على هيئة وصورة تنفيان كونهم من الخائفين على رد الأعمال الصالحة، أو من الشاكرين، لبلوغ هذا العيد الذي أكرمهم الله به، ومن ثم، فإن الحال على ما ذكر كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً؛ لأن النفس البشرية لو كان عندها شغل بالخالق لما أحبت المزاحمة بما يسخطه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٥] ولو أنهم أحبوا الطاعة، لما تخلوا عنها طرفة عين، وقديمًا قيل: من عَشَق طريق اليمن، لم يلتفت إلى الشام.

ألا فاعلموا - يا رعاكم الله - أن من قارب الفتور والكسل، بعُدَ عنه النَصبُ والاجتهاد، ومن ادّعى الترويح أو التسلية وكل إلى نفسه، وإن من أحق الأشياء بالضبط والقهر والأطرِ على العبادة والاستقامة أطرًا؛ هي نَفْسَك التي بين جنبيك.

فإياك إياك - أيها المسلم - أن تغتر بعزمك على ترك الهوى في رمضان، مقاربة الفتنة بعده، فإن الهوى مكايد، فكم من صنديد في غبار الحرب أُغتيل، فأتاه ما لم يحتسبْ ممن يأنف النظر إليه، واذكر - حفظك الله - حمزة مع وحشي رضي الله عنهما.

من تعوَّد الفتور والكسل، أو مال إلى الدعة والراحة، فقد فقد الراحة، وقد قيل في الحكمة: إن أردت ألا تتعب، فاتعَب لئلا تتعب، ولا أدلَّ على ذلك من وصية الباري جل وعلا لنبيه ومصطفاه ﷺ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ لأن من كَسَلَ لم يؤد حقًا، ومن ضَجِر لم يصبر على الحق، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجَز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

وليس في سياط التأديب للنفس أجودُ من سوط عزم، وإلا ونت وأبت؛ لأن فساد الأمر في التردد، والنفس - عباد الله - من أعجب الأشياء مجاهدة؛ لأن أقوامًا أطلقوها فيما تحب، فأوقعتهم فيما كرهوا، وآخرين بالغوا في خلافها حتى منعوها حقها، وإنما الحازم من تعلم منه نفسه الجدَّ وحفظ الأصول، فإذا ما أفسح لها في مباحٍ، لم تتجاسر أن تتعداه، لأن تفقد النفس حياة، وإغفالَها لون من ألوان القتلِ صبرًا.

والنفس كالطفل، إن تهمله شب على حب الرضاع، وإن تفطمه ينفطم

إن الحياة الدنيا لا تخلو من عقوبة، ومن عاش لم يخلُ من المصيبة، وقل

ما ينفك عن عجيبة، وإن من أعظم العقوبات عباد الله، عدم إحساس المعاقب بها، بل وأدهى من ذلك وأمر السرور بما هو عقوبة كالفرح بالتقصير بعد التمام، أو التمكُّن من الذنوب بعد الإقلاع عنها، ومَنْ هذه حالُه لا يفوز بطاعة، ولو غشَّى نفسه بعبادات موسمية ذات خداج، لوجَد خفيَّ العقوبة الرئيس، وهو سلبُ حلاوة المناجاة، أو لذة التعبد، إلا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات، من عبَّاد رب الشهور كلِّها، بواطنهم كظواهرهم، شوالهم كرمضانهم، الناس في غفلاتهم، وهم في قطع فلاتهم، فأخلق بمدمن القرع منهم للأبواب أن يلج؛ لأنهم تغلبوا على طباعهم ذات الجواذب الكثيرة، ولذا فليس العجب أن يَغلبَ الطبع، وإنما العجبُ أن يُغلَب.

لقد خلق الإنسان في كبد، والمرء كادح إلى ربه كدحًا فملاقيه، وإن من أعظم ما يعين النفس المسلمة على دوام الطاعة ألا تُحمَّل من الأمر ما لا تطيق، بل لا بد لها من التلطف، فإن قاطع مرحلتين في مرحلة خليق بأن يقف، والطريق الشاق ينبغي أن يقطع بألطف ممكن، ولا شك أن الرواحل إذا تعبت نهض الحادي يُنشدها، ولذا فإن أخذ الراحة للجد جدٌّ، وغوص البحار في طلب الدُر صعودٌ، ومن أراد أن يرى التلطف بالنَفس، فليداوم النظر في سيرة النبي ﷺ، وليستمع إلى قوله: «**إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**» رواه أحمد. وعند البخاري في صحيحه: أن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدينَ أحد إلا غلبه**».

كثيرون هم أولئك الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد والتكاليف، وهم كذلك يتساقطون إعياءً خلف صفوف الجادِّين من عباد الله، يتخللونها ضعافًا مسترخين، يخذلون أنفسهم في ساعات الشدة ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

نعم إن هناك ضعفًا في البشر، ولا يملك الناس أن يتخلصوا منه، وليس مطلوبًا منهم أن يتجاوزوا حدود بشريتهم، ولكن المطلوب أن يستمسكوا بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله في كل حين، وتجعلُ من التدين في جميع جوانب الحياة عندهم ثقافة وأسرةً وإعلامًا من الثوابت التي لا تتغير، ولا تخدع بها النفسُ في موسم ما دون غيره، كما أنها تمنعهم في الوقت نفسه بإذن الله من التساقط، وتحرسهم من الفترة بعد الشرَّة مهما قلت، ما دامت على الدوام، فرسول الله ﷺ يقول: «**يا أيهاَ الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يملُّ حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل**» رواه البخاري ومسلم.

ولا جرم أن نشير ههنا إلى أن التحرر من الغلو والتشدد لا يعني الترك والإهمال، بل يعني التوسط والاعتدال، مع محافظة المرء على ما اعتاده من عمل، أو التزام في السلوك العام، قال عبد الله ابنُ عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال لي رسول الله ﷺ : «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل**» متفق عليه.

إن الانهماك المستمر في العبادة، والإغلاق على حقوق النفس والأهلين يعد إفراطًا مذمومًا ليس من هدي سيد المرسلين، وأعبد الناس لرب العالمين، بله كونه سببًا في التراجع والنكوص، كما أن الأمر في الوقت نفسه إن كان تقاصرًا عن العبادة، أو انشغالاً عنها، أو تركًا للحبل على الغارب مجانبة للتصحيح ، أو الارتقاء بالحال على ما يريده الله ورسوله يعد تفريطًا ممقوتا ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، ويمثل ذلك تضييع المجتمعات المسلمة، بين إفراط وتفريط، ناشئين عن جهل وضلال ، كما قال علي

رضي الله عنه: «لا يُرى الجاهل إلا مُفَرِّطًا أو مُفْرطًا»، ولفظ الإفراط والتفريط ـ عباد الله ـ لم يأت في القرآن على سبيل المَدح إلا في نفيه عن كل صالح أو مصلح يقول سبحانه عن الملائكة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال عن موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]، ويقول سبحانه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ويقول سبحانه عن أهل النار: ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١] وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

والمراد هنا ـ عباد الله ـ: أن يتماسك المرء المسلم والمجتمعات المسلمة، فيكون لهم من صلابة عودهم الإسلامي وحسه ما يحول بينهم وبين الفتور والضعف، أو التراجع عن الدين أو التخاذل عنه، وإذا ما بدت هفوةٌ أو غفلة، سارعوا بالتيقظ ومعاودة التمسك، والاستجابة لكل ناصح مشفق، وهذا هو التوسط المحمود الذي اختُصَّتْ به هذه الأمة من بين سائر الأُمم.

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبه ولا عَرَضُ الدنيا عن الدين شاغله

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢] والطغيان هنا هو ما تجاوز الحدَّ في الأخذ أو الترك.

أيها المسلمون: كثيراً ما يناجي المرء نفسه، ماذا وكم عملت، وقليلاً ما يسائل نفسه، ويبلوها، كيف كان عملي وما مدى قربه أو بعده من الله؟ وما درجةُ المداومة عليه وعدم الفتور عنه، أو الإعياء بحمله؟ وما ذاكَ عباد الله إلا من جهل المرء بنفسه، وتقصيره في معرفة حقيقة العبادة التي يريد الله منه في قوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] إن البقاء على الطاعة

في كل حين، أو التهاون عنها كرات ومرات ليعودان في المرد بإذن الله إلى القلب، وهو أكثر الجوارح تقلبًا في الأحوال، حتى قال فيه المصطفى ﷺ : «**إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثلِ ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرًا على بطن**» رواه أحمد.

ولأجل ذا كان من دعائه ﷺ : «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»، وسئل عن ذلك فقال: «**إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**» رواه أحمد والترمذي.

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

إن استدامة الطاعة والمداومة على الأعمال الصالحة لهي في الحقيقة من عوامل الثبات على دين الله وشرعه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٣]، ألا وإن ترك المحرمات، والعمل بما يوعظ به المرء من قبل خالقه ومولاه لأمر يحتاج إلى ترويض ومجاهدة من أجل الحصول على العاقبة الحميدة، وحسن المغبة ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨] والتثبيت - عباد الله - يكون في الحياة الدنيا على الخير والعمل الصالح، وفي الآخرة يكون تثبيتًا في البرزخ وعند السؤال ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧]، اللهم إنا نسألك الثبات قبل الممات، والإرشاد إلى استدراك الهفوات من قبل الفوات، وإلهامنا أخذ العدة للوفاة قبل الموافاة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد من يشكر النعمة، ويخشى النقمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الفضل والمنة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله معلمنا الكتاب والحكمة، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أولي النجابة والفطنة.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ معاشر المسلمين ـ وتوبوا إلى ربكم تفلحوا، تمسكوا بسنة المصطفى ﷺ وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

قال الحسن البصري رحمه الله: «السنة ـ والذي لا إله إلا هو ـ بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقلَّ الناس فيما مضى، وهم أقلُّ الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لَقُوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا».

فيا أهل التوبة، استيقظوا، ولا ترجعوا بعد رمضان إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام، فالرَّضاع إنما يصلح للطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، لا للرجال، وعليكم بالصبر على مرارة الفطام، لتعتاضوا

عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في قلوبكم، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ذنب واحد بعد التوبة، أقبح من كذا ذنب قبلها، النكسةُ أصعب من المرض، وربما أهلكت، فسلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا بالله من تقلُّب القلوب، ومن الحور بعد الكور، فما أوحش ذُلَّ المعصية بعد عز الطاعة، وأفحش فقر الطمع، بعد غنى القناعة.

ذُكر عند النبي ﷺ قوم يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً، فقال: **«تلك ضرورة الإسلام وشرّته، ولكل عمل شرة، فمن كانت فترته إلى اقتصاد فنعمًّا هو، ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون»** رواه أحمد والطبراني.

ومعنى الحديث ـ عباد الله ـ: أن لكل عملٍ قوة وشدة، يتبعها فتور وكسل، ولكن الناس يختلفون في هذا الفتور، فمنهم من يبقى على السنة والمحافظة عليها ولو كانت قليلة، ومنهم من يدعها ويتجاوزها إلى ما يغضب الله، وبنحو هذا يقول ابن القيم رحمه الله: تخللُ الفترات للعباد أمر لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم، رُجي له أن يعود خيراً مما كان ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] يقول المصطفى ﷺ **«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه»** رواه الترمذي.

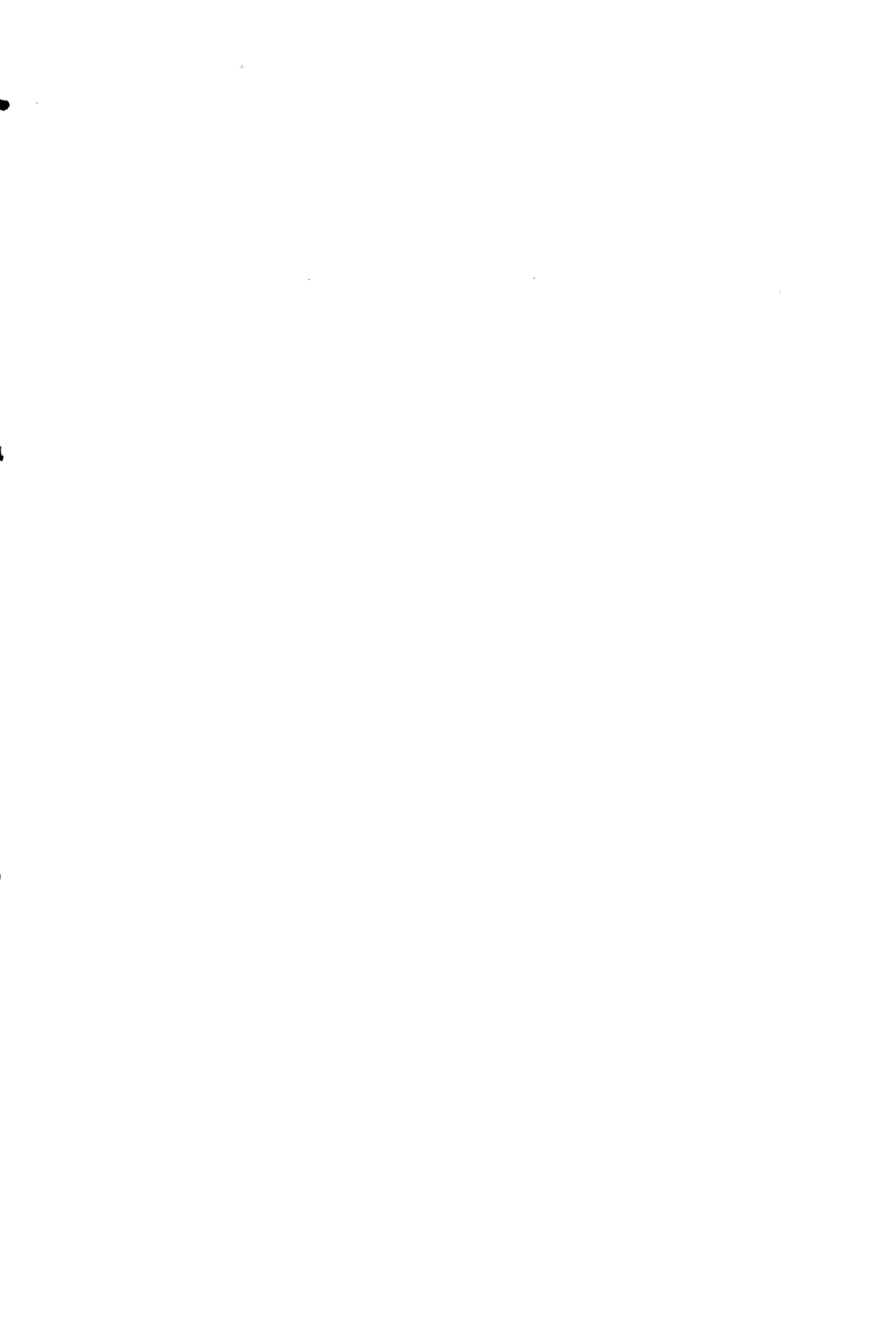
ولقد بكى ابن مسعود رضي الله عنه في مرض موته، فسئل عن ذلك،

فقال : إنما أبكي ؛ لأنه أصابني في حال فترة ولم يصبني في حال اجتهاد .

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .....

* * *



الفهرس

توزيع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان
الرياض- هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس : ٤٠٢٣٠٧٦


مطابع الحميضي
تلفون : ٤٥٨١٠٠٠ – فاكس : ٤٥٩٢٢١٧

